د. فريال حسن خليفة

العقل والمقدس عند توماس بين

- الوحى الإلـهى وتميزه من النـقل والـرواية
- التوراة - الإنجيل - النبوة - المعجزات - الأسرار
- الخـلق وحى حقـيقى ودين كـونى
- الفـلسفة الطبيعـية اللاهـوت الـحق
- مـبادىء الأخـلاق فى ضـمير كل إنـسان



العقل والمقدس
عند
توماس بين

الكتاب : العقل والمقدس

عند توماس بين

التأليف : دكتورة / فريال حسن خليفة

الطبعة : الأولى عام ٢٠٠٤

الناشر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤

الإخراج والتنفيذ : مكتب النصر للجمع التصويرى

القاهرة - تليفون ٨٧٦٣١٩٩

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٧٥٩٥

الترقيم الدولى : 977-208-451-1

العقل والمقدس عند توماس بين

دكتورة فريال حسن خليفة

مكتبة مدبولى
2004

المحتويات

الموضـــــــوع الصفحة

الباب الثالث

العقل وتأمل كلمة الله في الخلق

مقدمة

ربما يبدو هذا الكتاب شاقا على نفس المؤمن الذي يتسم إيمانه بالحمية ، أما المؤمن إيمانا عقلانيا فلا حرج عنده ولا خشية على دينه لأن الدين الحق كما يقول الفيلسوف الإنجليزي جون لوك لا يتناقض والعقل . ولكن إن حدث التناقض وجب على العقل المراجعة ، وهذا بالضبط ما فعله توماس بين بالكتب المقدسة في كتابه "عصر العقل " ولا يشتم من أفكاره أبدا رائحة الإلحاد الذي ألصقته به بعض الدراسات العربية مثل كتاب " الإلحاد في الغرب"[١]

وفي كتاب " حقوق الإنسان " يرى توماس بين أن الدين حق من حقوق العقل. بعد أن صنف الحق إلى طبيعي ومدني ، وأسس الكل على الطبيعة الإنسانية . عرف الحق الطبيعي بأنه خاصة الإنسان في وجوده ،وفيه قوة تنفيذ الحق قوة كاملة في الفرد كحق للفرد ذاته . " ومن بين هذه الفئة من الحقوق الطبيعية أو حقوق العقل نجد الدين حقا من الحقوق الطبيعية العقلية للفرد. "[٢]. وبهذا فإن العلاقة بين العقل والدين باعتباره حقا من حقوق العقل علاقة طبيعية عقلانية تخلو من التعارض ، ولكن الدين الذي هذا شأنه هو الدين الطبيعي . الله فيه خالق والخلق وحي الله الحقيقي للبشر ، لا يمكن تزييفه ولا يمكن تحريفه ، لغته لغة عالمية يفهمها كل البشر بالنظر والتأمل في أعمال الله في خلقه. " ونحن لا نستطيع أن نخلق عودا واحدا من نبات العشب الذي يخلقه الله ولا نستطيع أن نغيره ولا حتى نحاكيه ، إلا أننا نستطيع أن ندعي كلمات الله ، نصنعها ونغيرها بسهولة كما نغير كلمات الإنسان "[٣].

---

١ - رمسيس عوض (دكتور) الإلحاد في الغرب ، سينا للنشر

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Being An Investigation Of True And Fabulous Theology, Part I, Willey Book Company New York,P.79.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON ,Part II, Willey Book Company New York,P.221 .

واعتبار الدين حق من الحقوق الطبيعية العقلية للفرد ، والخلق كلمة الله الحقيقية أو الوحي الحقيقي لكل البشر ، يؤكد أن كل الأمم على وجه الأرض تتفق في أن الكل يعتقد في الله ،ويبقي أن كل ما يختلف فيه البشر لغو مضاف على هذا الاعتقاد"[1]. وهنا السؤال هل في إمكان البشــر إزالة اللغو والتمسك بالاعتقاد في الله؟ هذا ليس ممكنا عند توماس بين إلا بموجب أمرين : الأمر الأول انتشــار الدين العالمي أو الدين الكـــوني universal religion دين بداية الخليقة ، دين آدم . دين طبيعي ، أو تأليه طبيعي . بينما ترك اللغو والتخلي عنه في الاعتقاد في الله هو الأمر الثاني ، وهو مهمة العقل في كتاب "عصر العقل "[2] بجزأيه الأول والثاني.

وكما هو واضح أن من حق العقل وطبيعته الإيمان بالله ، فإن مهمته أيضا فحص المقدس ونقده ،تلك هي مسئوليته ليتخلى البشر عن التناقضات والخرافات والشر والارهاب والتزييف...الخ المقحم عليهم بدعوى أنه كلمة الله وأمر صادر عنه. وتوماس بين لا يعترف بقضية الناسخ والمنسوخ في المقدس ، ولا يري كلمة

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON ,Part I ,P.92.

٢- يقول توماس أنه آثر الاحتفاظ بأفكاره عن الدين إلى الفترة المتأخرة من حياته، وفي نهاية ديسمبر ١٧٩٣ صدر أمر عام باقصاء الاجانب عن فرنسا ، فكرس كل جهده للانتهاء من كتابة عصر العقل قبل أن يتم القبض عليه، ويفقد حريته باعتباره أجنبيا مولود في انجلترا وما أن انتهي توماس بين من كتابة عصر العقل بــساعات إلا وقد تم القبض عليه.وبعد ثلاثة أسابيع أبرأت المحكمة ساحته . وفي ٢٧ يوليو١٧٩٤كان سقوط روبسبير ووجد فيما بعد بين أوراق روبسبير ملحوظة مكتوبة بخط يده " مطلوب قرار اتهام ضد توماس بين نظرا لاهتمامه بأمريكا شأن اهتمامه بفرنسا." وهذا العزم لم يوضع موضع التنفيذ ربما بسبب مرض توماس، شهران قبل هذا الحدث اصيب بحمي ولم يكن يتوقع الشفاء.وكتب الجزء الأول من عصر العقل عن قناعة ضميره بمبادئ الخاصة.وما أن ملك حريته إلا وأنهال الرد من القساوسة والاساقفة على الجزء الأول من عصر العقل. ووجد توماس بين في رد المعترضين على الجزء الأول من عصر العقل خدمة كبيرة له لأنهم سيجدون في الجزء الثاني من عصر العقل ردا عليهم.

الله الحقيقية إلا في الخلق . وهو يرى أن النقد عامة ونقد المقدس خاصة يستلزم الحرية ، "وعندما تكون الآراء حرة في موضوعات الدين أو في موضوعات السياسة والحكم فإن الحقيقية تنتشر وتعم بقوة "[1].

ويذكر توماس بين في اهدائه كتاب " عصر العقل " إلى مواطني الولايات المتحدة الأمريكية أنه كتاب يحتوى رأيه في الدين.وأنه يتطلع إلى موقف منهم فيه شيء من العدل ويذكر له فيه أنه يدعم بشدة حق كل إنسان في حرية الرأي والاختلاف لأن من ينكر على إنسان هذا الحق يجعله عبدا لنفسه بالنسبة لرأيه الخاص متي حرم عليه حقه في حرية الرأي والاختلاف. ولكن حرية الرأي عند توماس بين واختلافه في الدين ليس عنوة ولا عنجهية ، وتفادى للأخطاء من كل نوع يرى توماس بين في العقل السلاح الأعظم . وهو لم يستعمل إلا العقل واثقا به على الإطلاق"[2]. فيقف توماس بين نفس الموقف الديكارتى حيث الثقة المطلقة بالعقل أساس اليقين. إلا أنه لا يتابع ديكارت في موقفه من الدين . وتوماس بين أكثر توافقا مع " اسبينوزا في تطبيق المنهج الديكارتى تطبيقا جذريا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه خاصة في مجال الدين، أعني الكتب المقدسة والكنيسة والعقائد والتاريخ المقدس"[3].

ويقول توماس بين إن من يلاحظ بدقة تقدم العقل الإنساني لآبد وأن يتشكك في حقيقة النظم الدينية .ذلك أنه يوجد في العقل الإنساني فئتان متميزتان مما نسميه أفكارا. أفكار توجد في داخلنا عن طريق التأمل والتفكير ، وأفكار تأتي إلى العقل أو يتلقاها وهي الأفكار التي أهتم بفحصها وأرى إن كانت تستحق القبول . ومنها أكتسب غالبا كل معرفة عندي.فما يكتسبه الفرد بالتربية يستخدمه كرأسمال صغير يضع الفرد على بداية طريق التعلم الذاتي . والعقل لديه من المبادئ أو الأفكار ،

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part II, ,P.256.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part I, ,P.3.

٣ - سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم دكتور حسن حنفي، الانجلو المصرية الطبعة الثالثة ، ص ١٠.

وهذه الأفكار لا يمكن أن تكون مطبوعة على الذاكرة فمكانها هو الفهم. وعندما أكون قادرا على تصور الفكرة أو المبدأ وأفعل بموجبه عن طريق التفكير والتأمل أجد نفسي متشككا في حقيقة النظام المسيحي[١].

فلا أعتقد في أشياء لا يعتقد عقلي بها. وأي نسق ديني يصطدم بالعقل لا يمكن أن يكون نسق صحيحا [٢]. فلا أعتقد في العقيدة المعترف بها في المعبد اليهودي أو الكنيسة الرومانية أو الاغريقية أو المسجد التركي أو أي مؤسسة دينية من تلك التي نعرفها . إن عقلي الخاص هو كنيستي الخاصة ... وعلى الرغم من عدم الاعتقاد في النظم الدينية السماوية إلا أن توماس بين يعتقد في الله الواحد ليس إلا ويتمنى السعادة فيما بعد هذه الحياة . ويعتقد في المساواة بين البشر ويعتقد أن واجباته الدينية تقوم على فعل العدل والمحبة والرحمة والعمل على جعل كل المخلوقات في سعادة.. بينما المؤسسات الدينية إنما هي تؤسس الإرهاب وعبودية

١- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part I, ,P.64.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.65.

الجانب المبكر من حياة توماس بين له أهمية في مسار تفكيره . ولد في انجلترا وكان والده يعتقد بعقيدة الكوكير Quakerوبفضلها تربي توماس بين تربية أخلاقية جيدة من تسامح وتعليم نافع.وعندما ذهب إلى المدرسة ليتعلم اللغة اللاتينية تركها بسبب اعتراض الكوكير على كتب اللغات وكان الاتجاه الطبيعي لعقل توماس بين هو العلم.وواظب على حضور المحاضرات الفلسفية لمارتن Martinوفيرجسون Ferguson وأصبح بعد ذلك على معرفة بالدكتور Bevis من المجتمع المسمي المجتمع الملكي ويعيش في معبد وفلكي ممتاز... ولم يكن عند توماس بين استعداد لما يسمي علوم سياسية وكل ما يتمثله لعقله متضمن في كلمة جوكشيب Jockeyship " أنني عندما أفكر في موضوع الحكومة أشكل نسقا لنفسي موافقا للأخلاق والمبادئ الفلسفية التي تربيت عليها. ومن وقت أن أصبح قادرا على تصور الأفكار والفعل بموجبها عن طريق التفكير والتأمل تشكك توماس بين في حقيقة النظام المسيحي وكان في عمر السابعة عندما استمع إلى وعظ في الكنيسة عن موضوع الخلاص عن طريق موت ابن الله . وبعد انتهاء الوعظ أعاد التفكير فيما استمع إليه وثار كلما تذكر ما صنعه الله القدير كإنسان انفعالي يقتل ابنه عندما لا يستطيع أن ينتقم لنفسه بأي طريقة أخرى . ويقول توماس بين إنني كإنسان ربما أقتل إن فعلت هذا الشيء ولم أستطيع أن أري لأي غرض يعظون هذه المواعظ. ويبدو هذا التأمل ناشئ عنده من فكرة أن الله خير إلى حد يصعب معه مثل هذا الفعل.وهو أيضا قدير إلى درجة لا يمكن أن يكون خاضعا لأي ضرورة في مثل هذا الفعل.ومنذ هذه اللحظة عينها يعتقد توماس بين إن أي نسق ديني به أي شيء يصطدم بعقل الطفل لا يمكن أن يكون نسق حق.

البشر واحتكار السلطة والمنفعة . وأنا بهذا الإعلان لا أدين الآخرين على اعتقادهم فيها لأن لهم نفس الحق بالنسبة للاعتقاد مثلما هو لي . ولكن هذا الإعلان ضروري بالنسبة لسعادة الإنسان المخلص لنفسه بشكل عقلاني.**فالكفر لا يقوم في الاعتقاد أو عدم الاعتقاد بعقيدة ما ولكنه يقوم في الاعتراف بعقيدة ما هو لا يعتقد بها"** [١] .

والاعتراف الفردي والإرادي بالإيمان عمل يتسم بالاخلاص والصراحة فيه يتواصل عقل الإنسان مع نفسه"[٢]. أما اعتراف الإنسان بعقيدة لا يعتقد بها فذلك كذب عقلي يستحيل معه احصاء الأذى والضرر الأخلاقي الذي يلم بالمجتمع. عندما يفسد الإنسان يلوث عفة عقله لكونه يقبل باعتقاد في أشياء هو لا يعتقد فيها . وهو بذلك يعد نفسه لجريمة أخرى حيث يعتاد التجارة والعمولة والكسب عن كل جريمة.ويهيأ نفسه لهذه التجارة ويبدأ بالحنث وشهادة الزور فهل نستطيع تصور أي **شيء مدمر للأخلاقية أكثر من هذا ؟**[٣]

وفي كتاب " عصر العقل " يقول توماس بين أنتجت عملا ضد التوراة والعهد الجديد ، وهذا الكتاب لا يستطيع أي فرد يعتقد في التوراة أو العهد الجديد تفنيده"[٤].

ويحدد توماس بين مصدر القوة في كتاب " عصر العقل " فيقول في الجزء الثاني منه إن الدليل الذي أقدمه لإثبات أن كتب العهد القديم والعهد الجديد زائفة ، هو دليل مأخوذ من الكتب ذاتها ، وهو يفعل مثل سيف له حدين. إذا أنكرنا الدليل علينا أن ننكر صحة أو صدق الكتب المقدسة معه ،لأن الكتب المقدسة هي الدليل.وإذا سلمنا بالدليل ، تبقي صحة الكتب المقدسة غير مثبتة . وما تتضمنه الكتب المقدسة من تناقضات هودليل يدينها ويدمر مصداقيتها . وربما يبدو أن ما يفعله توماس بين اسقاط للتوراة والعهد الجديد. ولكنه يقول إن ما أفعله ليس أكثر من استخلاص دليل من الكم المختلط لموضوع التوراة والعهد . وترتيب ذلك الدليل

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Being An Investigation Of True And Fabulous Theology, Part I, Willey Book Company New York,P.6.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , , Part I, P.4.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part I, , P.7.

4- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part II, , P.94.

في نقاط لتكون مرئية بوضوح مفهومة بسهولة، وأترك القارئ ليحكم هو بنفسه"[١].عندما يتأكد بالدليل أن الكتابات التي أقرتها الكنيسة المسيحية (منذ نشأتها) وفرضتها على العالم بوصفها كلمة الله الحقيقية المكتوبة بواسطة موسى ويوشع وصموئيل.. الخ هي ادعاء زائف . وماذا يقول كل ذي عقل في هذه الأدلة الواضحة التي يضمها الجزء الثاني من عصر العقل .

والادعاء أن اليقين بمبدع الكتاب لا يشكل جزءا من الاعتقاد أو التصديق بموضوع الكتاب. هذا القول ينطبق على كتب بعينها مثل كتاب الهندسة لاقليدس. والمنطق لأرسطو .. إلخ فهي كتب مبرهن عليها مستقل موضوعها عن المؤلف وعن المكان والزمان والظروف . فالموضوعات المتضمنة في كتاب الهندسة لاقليدس أو كتب أرسطو لها نفس القوة فهي لم تتأثر بالزمان ، حتى لو وجدت في عمل غفل غير معروف مؤلفه. فاليقين بمن هو مبدع الكتاب لا يشكل جزءا من التصديق بالموضوعات المتضمنة في الكتاب. غير أن الأمر بالنسبة للكتب المقدسة يختلف لأن الكتب المنسوبة لموسى ويوشع وصموئيل ... الخ هي كتب شهادة. ولذلك فكل اعتقاد وتصديق بهذه الكتب يرتكز أولا على اليقين بأن هذه الكتب كتبها موسى ويوشع وصموئيل ... إلخ . وثانيا بموجب التصديق بمؤلف الكتب نأخذ بشهادتهم..فإذا كانت الكتب المنسوبة إلى موسى ويوشع وصموئيل ليست مكتوبة بواسطة موسى ولا يوشع ولا صموئيل فكل جزء من شهادتهم في هذه الكتب لا يمة لها لأنه لا يمكن أن تكون هناك شهادة مهملة لاصاحب لها. خاصة في الأشياء التي لا يمكن تصديقها بشكل طبيعي.مثل الحديث أو الكلام مع الله وجها لوجه.أو أن الشمس والقمر يقفان أو يثبتان بأمر الإنسان"[٢].

وعلى هذا تتحدد الفروض الأساسية لبحث " العقل والمقدس عند توماس بين في ثلاثة فروض : الفرض الأول عن الوحي أو كلمة الله الحقيقية ، هل يمكن أن يكون الوحي مكتوبا ومنقولا ومرويا أم أن ثمة تميز بين الوحي والنقل والرواية؟ وإذا كان الوحي لا يمكن أن يكون مكتوبا أو منقولا أو مرويا يبقى السؤال الثاني

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part II, , P.238.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part II, , P.102-103.

عن مصداقية الكتب المقدسة وهل الأسماء التي تحملها هذه الكتب والمنسوبة إليها هم حق من كتبوها ؟ أم أنها كتب غفل لمؤلفين مجهولين ؟ بينما يتحدد الافتراض الثالث في السؤال الباحث عن الله وهل يكون في الكتب المسماة مقدسة أم في كتاب الخلق ؟

والاجابة بالسلب أو الايجاب عن السؤال الأول والثاني يتطلب الدليل . والدليل إما دليل **خارجي** أو دليل **داخلي** ، غير أنه ليس لدينا دليلا خارجيا أو سندا على الاطلاق يكون أساسا للتصديق أو الاعتقاد في أن هذه الكتب المقدسة كلمة الله الحقيقية. خاصة وأن توماس بين لا يقبل بالتواتر. ويقول أن كل ما هو معروف تاريخيا " أن ما فعله علماء الميثولوجيا المسيحية عندما أسسوا نظامهم الكنسي أنهم جمعوا كل الكتابات التي وجدوها ورتبوها كما يرغبون . وهذه الكتابات التي تبدو الآن تحت أسم **العهد القديم والعهد الجديد** هل هي بالحالة عينها التي وجدوها عليها أم اضافوا إليها أو حذفوا منها اختصروها أو نمقوها ؟ وربما يكونوا قرروا بالتصويت أيضا أي من هذه الكتب المجمعة تكون كلمة الله.وأي منها لا يجب أن يكون.لقد رفضوا العديد من الكتب وصوتوا ضدها وشككوا فيها من حيث الصحة والسند. وأسموها كتبا منتحلة.أما الكتب التي حازت أغلبية التصويت أصبحت هي التي تكون كلمة الله. إنهم لم يصوتوا على شيء خلاف هذا.وعلى ذلك انبثق الاعتقاد في بعض الكتب ضد البعض الآخر. والبشر الذين لم يفعلوا هذا ولم يعرفوا شيئا عنه اسمو أنفسهم بالاسم العام للكنيسة ، وهذا هو كل ما هو معروف عن الموضوع."[١]

ولذلك يفحص توماس بين في مضمون هذه الكتب المقدسة المعتمدة[*] عند الكنيسة ، يبحث عن **دليل داخلي** متضمن فيها. ويري أن هذا البحث سيكون سلاحا

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part I, , P.21.

(*) من الأناجيل غير المعتمدة عند الكنيسة انجيل برنابا، وانجيل يعقوب ، وانجيل القديس توماس، وانجيل القديس نيكوديم ، وانجيل السبعين ، وانجيل الاثنى عشر ، وانجيل التذكرة ، وانجيل العبريين وانجيل المصريين وكان لكل من أتباع ديصان وأتباع مانى وأتباع مرسيون وأتباع ابيون انجيل خاص يختلف عن انجيل من عداهم. (راجع كتاب الدكتور على عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة ، نهضة مصر، ص١٠٦.)

ضد كل أديان الوحي : ضد الوحي المكتوب ، ضد الأنبياء والنبوة ، والمعجزات ، والأسرار . ويؤكد الفحص النقدي للكتب المقدسة أو النصوص المقدسة أن هذه الكتب إنما هي نوع من الدليل المستمر ضد نفسها" [1].

وبعد أن حدد توماس بين أدلته من داخل النصوص المقدسة وهي كثيرة منها الدليل اللغوى ، والدليل التاريخي والزمني واللغة التاريخية ، ومنه ما يشير إلى التناقض وعدم الاتساق في مضمون الكتب المقدسة ، ومنها ما يشير إلى الترجمة عن لغات وثقافات أخرى، يتجه بالسؤال إلى رجال الدين هل بقي لديكم شيء من الثقة للاستمرار في وعظ المصلين بأن هذه الكتب كلمة الله؟ ومن ادعيتم أنهم مؤلفو هذه الكتب تأكد بالدليل زيف هذا الادعاء. وأنتم لا تعرفون من هم مبدعو هذه الكتب. فضلا عن الادعاءات التي قدمتموها ليستمر الخداع والتجديف؟ وهل يظل لديكم ما تقدموه ضد الدين الأخلاقي النقي (دين الاعتقاد في الله الواحد دين التأليه الطبيعي) المنزه عن أوامر العنف والقتل التي يمتلئ بها التوراة من عمليات قتل البشر وتعذيبهم التي لا حصر لها تشمل الرجال والنساء والأطفال . وادعيتم أنها تنفيذ لأوامر إلهية . وغصتم في عنف الخرافة ولم تكترثوا بشرف الخالق ولا بالعدالة الأخلاقية للخالق وخيريته .

ولذلك في النقد العقلي للنصوص المقدسة تبدو قناعة توماس بين الفكرية بما جاء في كتاب بولانجر " حياة بولس " .Bulanger 's Lift of Paul المكتوب في فرنسا يقدم فيه بولانجر اقتباسات كثيرة من كتاب أوغسطين ضد فاوست . وقد جمع بولانجر كتاب حياة بولس من التاريخ الاكليريكى ، ومن كتابات الآباء وما كتبوه في موضوعات عديدة توضح الآراء التي انتشرت بين المذاهب المسيحية المختلفة في زمن " العهد " الذي تم التصويت عليه ليكون اعتباره كلمة الله . ويعر ض

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part II, , P.199.

توماس بين في ايجاز لهذه الآراء التي انتشرت بين المذاهب المسيحية المختلفة كما جاءت في الفصل الثاني من كتاب بولانجر[١].

ويخلص توماس بين من ذلك أن النسق المسيحي للإيمان تبرير نزواني للخلق القصة الغريبة عن حواء والحية والتفاحة، والفكرة الغامضة عن الولادة السماوية والإنسان الإله. والفكرة المادية عن موت الله. والفكرة اللاهوتية عن عائلة أو اسرة الإله والنسق المسيحي الحسابي أن الثلاثة في واحد والواحد في ثلاثة جميعها غير مسلم بها وغير معقولة "[٢]. ونظرية الكنيسة المسيحية منبثقة عن الأساطير الوثنية، تعمل من أجل السلطة والقوة والدخل. وعلى العقل أن يدمر الخداع والغموض "[٣]. إن الكنيسة أقامت نظام دين متناقض جدا بالنسبة لصفات أو سمات الشخص الذي تحمل اسمه.أقامت الدين على العظمة والدخل أو الريع وادعاء تقليد الشخص الذي حياته متواضعة فقيرة. اختلقت " المطهر " وادعت الافراج عن النفوس أو اطلاقها نقية ببيع الغفران والفتاوى الشرعية.ولكن تلك الأشياء منشأها أو منبعها هو قصة

١- " المارسينيون The Marcionists مذهب مسيحي يري أن الأناجيل ممتلئة بالتزييف . والمانيشينز The Manicheans وهم يشكلون مذاهب كثيرة جدا ، رفضوا المسيحية واعتبروا العهد الجديد زائفـا ، وأظهـروا كتابات مختلفة جـدا عن الكتابات التي أخذت الثقـة . والسـيرنزنيون The Cerinthians مثل المارسينيون لا يسلمون بالأعمال المقدسة للحواريين . والـ The Encratites الـ The Severians لا يتبنون أعمال الحواريين ولا رسائل بولس.ويقول Chrysostom في خطبته التي القاها عن أعمال الحواريين أن في عصره سنة اربعمائة تقريبا كثير من البشر لا يعرفون شيئا لا عن المؤلف ولا عن الكتاب.والقديس St. Irene الذي عاش قبل سنة ٤٠٠ يروي أن الـ The Valentinians الفالينتينين مثل عديد من المذاهب المسيحية الأخرى اتهموا الكتب المقدسة بأنها ممتلئة بالأخطاء والنقائص والتناقضات . والـ The Ebionites أو الـ Nazarines أول المسيحيين الذين رفضوا كل رسائل بولس واعتبروه دجالا.وقرروا إلى جانب أشياء أخرى كثيرة أنه كان وثنيا، وأتى إلى أورشليم وعاش بعض الوقت، وفكر في الزواج من ابنة الكاهن الأعظم ، وختن نفسه ، ولكنه لم يستطيع الزواج منها ، وتشاجر مع اليهود وكتب ضد الختان ، وضد يوم السبت، وضد كل الشرائع القانونية . (THOMAS PAINE, AGE OF REASON,P.223-224)

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part I, , P.57.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, , P.10

الصلب. فالخلاص المتحقق بالصلب بني عليه تباعا الخلاص أو الفداء النقدي، وكأن نظرية الخلاص اصطنعت لهذا الغرض، فلماذا نثق بالكنيسة و كل ما تخبرنا به من معجزات وكتب ومبادئ الخلاص.ولما كان لا يوجد دليل خارجي يمكن تقديمه عن هذه المسافة الزمنية الطويلة ، لإثبات ما إذا كانت الكنيسة قد اختلقت المبادئ المسماة الخلاص أو لا ، ومثل هذا الدليل سواء كان في صالح الكنيسة أو ضدها يكون خاضعا للشك عينه لأنه سيكون دليلا مصطنعا . ولهذا يبقي فقط الدليل الداخلي الذي يحمله الشيء ذاته . وهذا الدليل يقدم كل افتراض مسبق قوي عن كون مبدأ الخلاص مختلقا.لأن الدليل الداخلي يوضح أن نظرية أو مبدأ الخلاص مؤسس على فكرة العدالة النقـدية وليس على العدالة الأخلاقية . فالعدالة الأخلاقية لا يمكن أن تأخذ البريء أو الطاهر من أجل المذنب . حتى إذا قدم البريء أو الطاهر نفسه . فإن افترضنا أن العدالة الأخلاقية تفعل هذا فهي تدمر مبادئ وجودها الذي هو هي ذاتها فهي لم تعد عدالة بل ستكون انتقاما بلا تمييز. أما الخلاص المؤسس على مجرد فكرة نقدية كدين يدفعه الفرد عن نفسه أو يدفعه عنه شخص آخر هذه الفكرة النقدية توافق نظام الخلاص النقدي عن طريق الكنيسة بواسطة دفع النقود أو صكوك الغفران. إن هذه النظريات أو المبادئ المصطنعة بوصفها خلاص هي خرافة ولا وجود لمثل هذا الشيء فهل يمكن أن يكون هناك شرطا نسبيا كصك الغفران أو النقود بين الإنسان وخالقه"[١].

ودراسة علم اللاهوت كما هي جارية في الكنائس المسيحية هي لا تدرس شيئا . لأنه لاهوت ليس مؤسسا على شيء ولا يرتكز على مبادئ ، ولا ينطلق من مستندات ولا يملك معطيات ، ولا يستطيع أن يبرهن شيئا، ولا يسلم بنتيجة . فلا يوجد شيئ يمكن دراسته. بوصفه علما دون أن يكون لدينا مبادئ يؤسس عليها العلم . وعلم اللاهوت المسيحي مؤسس على التوراة والعهد والمعاني التي في تلك الكتب سندها و صحتها غير مثبتة. لذلك من الضروري التخلي عن اللاهوت المسيحي . والبحث عن الله لا يكـون في الكتب المقدسـة بل في الكتاب المسمي

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part I, , P.34-37.

" الخلق " Creation ومن تأمل أعمال الله في الخلق يكتشف الإنسان المبادئ السرمدية، التي هي مبادئ إلهية ، وأساس لكل علم موجود في العالم كما يجب أن تكون أساس علم اللاهوت[1]. ذلك أن اللاهوت الحق هو الفلسفة الطبيعية . وذلك **جوهر الافتراض الثالث في البحث**. حيث تضم الفلسفة الطبيعية كل دائرة العلم وبها تكون دراسة قدرة الله وحكمته في أعماله أو مخلوقاته ، وتشكل الفلسفة الطبيعية أو اللاهوت الحق ، ثورة في نسق الدين ، معها يكون كل واعظ فيلسوفا وكل دار للعبادة مدرسة للعلم . وعلى أساس التأليه الطبيعي واعتبار الفلسفة الطبيعية هي اللاهوت الحق يرفع التعارض بين العلم والدين . ولكن ليس أي دين إلا الدين الطبيعي. فالمبادئ التي بموجبها تتأسس كل العلوم مبادئ سرمدية من أصل الهي أساس كل علم موجود نكتشفها بالبحث والدراسة والتأمل في أعمال الله ومخلوقاته . فالعلم هو اكتشاف المبادئ وليس اختراعها على نحو ما تدعي الكنيسة، ولا يمكن لأحد أن يخترع مبدأ من مبادئ العلم لأن المبادئ من أصل إلهي . واكتشاف العلماء لمبادئ العلم موجب لتقديرهم لا أن يكونوا موضع اضطهاد من رجال الدين. وكلما تتسع الدراسات العلمية ويكتشف العلماء المزيد من مبادئ العلم يزداد البشر إيمانا طبيعيا بالله بعيدا عن الوحي المكتوب واللاهوت . ومن ثم فإن الثورات العلمية لاتقوض الإيمان الطبيعي بالله ولا تصطدم إلا بالعقائد اللاهوتية .

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part II, , P.250.

الباب الأول

العقل ونقد كلمة الله المكتوبة

الفصل الأول

الوحي الإلهي وتميزه من النقل والرواية

لا يـــنكر تومـــاس بين الوحي الإلهي ، فالله قادر على أن يوحي لأي فرد إذا أراد ، و لكن يميز توماس بين بين الوحي والنقل ، بين ما يوحي به الله لفرد بعينه وبيـــن مـــا يـــنقل عن هذا الشخص للآخرين مكتوب أو مروي . فهذا ليس وحيا إلا للشخص الأول ، ونقل ورواية للآخرين ، ويخضع النقل كما تخضع الرواية لكل ظـــروف الـــتحريف والتغيير والتبديل ، ومن ثم فالكتب المقدسة لا يجب أن تسمي وحي إنها نقل ورواية.

ونقـــد توماس بين للوحي لا يتطابق والنقد الكانطي لأن كانط يميز بين وحي داخلـــي ووحي تاريخي هو موضوع للنقد وموضوع للتأويل . وعلى الرغم من أن توماس بين لا يرفض الوحي على نحو مطلق إلا أنه أقرب في روح النقد إلى جان جـــاك روســـو في نقد النقل والتواتر عندما يقول روســـو " إناس ينقلون عن إناس ألا كـــم مـــن البشر بيني وبين الله"[1] وكذلك توماس بين ينقد الوحي المكتوب في الكتـــب المقدســـة باعتباره نقلا وليس وحيا ، ولكنه يرى الوحي الحقيقي وحيا لكل البشر ، إنه الخلق لغة عالمية يفهمها كل فرد في كل مكان ، ومن عهد آدم إلى آخر الـــزمان. وبهـــذا يبقي الوحي المكتوب والمنقول والمروى هو موضوع النقد عند تومـــاس بين وفي نقده يقول : " الوحي أساس الأديان السماوية، وكل دين من هذه الأديـــان يؤســـس ذاته برسالة خاصة من الله مرسلة إلى شخص بعينه، موسى عند الـــيهود ، ويسوع المسيح عند المسيحيين، ومحمد عند المسلمين. وفي هذه الأديان يـــبدو كمـــا لو أن الطريق إلى الله ليس مفتوحا لكل إنسان كما هو مفتوح لموسى

1- JEAN JACQUES ROUSSEAU , EMILE ,Trans By Barbara Foxley, Everyman's Library,New York, 1974,P.261.

وعيســى ومحمد ... وقد أظهرت تلك الأديان كتبا أسمتها وحيا أو كلمة الله. يقول الــيهود إن كلمــة الله أعطاها لموسى وجها لوجه، ويقول المسيحيين إن كلمة الله جــاءت من الوحي الإلهي. ويقول المسلمون إن كلمة الله " القرآن " جاءت لمحمد عــن طريق ملاك من السماء.ويتهم كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين بعضهم البعض بعدم الاعتقاد).(١)

ومــن أجــل دقــة الأفكار ووضوحها يري توماس بين ضرورة التمييز بين الوحي والنقل أو الرواية فيقول (الوحي عند تطبيقه على الدين يعني شيء ما مرسل مباشرة immediately communicated من الله إلى الإنسان . ولا يملك أحد أن ينكر قوة القدير المطلقة على أن يوحي إذا أراد لأي شخص .فالوحي موحى به لشخص معيــن ، هــو هذا أو ذاك الشخص فقط . ولكن عندما يتم نقل الموحي به لشخص ثــان ، والثاني ينقله لثالث، والثالث ينقله لرابع هنا يمتنع أن يكون وحيا لكل أولئك الأشــخاص . أنه وحي للشخص الأول فقط ورواية ونقل لكل فرد آخر ، ومن ثم ليس في النقل ما يلزم البشر بالاعتقاد فيه . ومن التناقض أن نسمي أي شيء وحيا يكــون قد وصل إلينا من الشخص الثاني شفهيا كان أو مكتوبا . لأن الوحي محدد بالرسالة أو الاتصال بالشخص الأول . بينما ما وصل إلينا من الشخص الثاني إنما هو رواية وتقرير ونقل وليس وحيا بالنسبة لنا ولكنه وحي للشخص الأول ... لذلك عندما أخبر موسى بني إسرائيل أنه تلقي الأوامر الإلهية من الله لم يكونوا مجبرين علــى الإيمــان بها. فهو لم يقدم لهم شيئا أكثر من مجرد خبر لا يملك أي سلطة . وبعض الأوامر لا تحمل دليلا داخليا على ألوهيتها . وإن كان بعضها يحتوى على مفاهيم أخلاقية خيرة يمكن لأي إنسان مؤهل ليكون مشرعا أن يشرعها بنفسه دون أن يلجأ إلى تدخل روح مجاوزة للطبيعة ... وعن قصة مريم العذراء وحملها طفلا دون معاشــرة رجل . وعن قول خطيبها يوسف أن ملاكا أخبره بهذا يقول توماس بيــن أنه يملك كل الحق في الاعتقاد أو عدم الاعتقاد في هذه القصة. فالإيمان بها

1- THOMAS PAINE, Age Of Reason,Part I, Willey Book Company New York,P.8.

يحتاج إلى دليل اكثر من مجرد الكلام عنها.ونحن لا نملك هذا الدليل . فلا يوسف ولا مـــريم كتبا أي شيء عن مثل عن هذه القصة بنفسيهما . إنها قصة كتبت عن طــريق الآخريـــن الذيـــن قالوا هذا ، فهو نقل عن نقل، وأنا لا أقيم اعتقادي على المـــنقول... وعن القرآن يقول توماس بين أخبرونا أن القرآن مكتوب في السماء . وأنـــه نقـــل إلى محمد بواسطة الملاك . وتفسير ذلك أنه نوع من النقل أو الرواية حيث الدليل واضح على سلطة اليد الثانية كما كانت سلطة اليد الأولي . ولكنني لم أري الملاك نفسه لذلك فإنني لدي الحق في اللا أعتقد في المنقول).[١]

فالوحي من حيث المصطلح علاقة relation بين الله والإنسان . ويمكن تطبيق مصطلح الوحي على شيء ما يكشفه الله بإرادته للإنسان . غير أن قدرة القدير على صـــنع هـــذا الاتصال هي شيء مسلم أو مصدق بها . لأن كل شيء ممكن بالنسبة لقـــدرة القديــــر .إلا أن الشيء الموحي به إنما هو وحي للشخص الأول وحده الذي تكشـــف له.بينما رواية أو تقرير الشخص الأول عن الشيء الموحي له إلى شخص آخر فذلك ليس وحيا . والإنسان الذي يقيم إيمانه على هذا التقرير أو هذه الرواية أو الـــنقل يضـــع إيمانه في هذا الإنسان الذي صدرت عنه هذه الرواية. وهذا الإنسان ربمـــا يكون مخادعا أو حالما ، أو ربما يكون دجالا وكاذبا.ولا يوجد هناك معيار يمكن الحكم بواسطته على حقيقة أو صدق ما أخبرنا به. ولا حتى الحقيقة الأخلاقية التي يخبرنا بها تكون دليلا على الوحي...وفي كل هذه الحالات لا يكون ولا يمكن أن يكون واجبا محتوما على الإنسان الاعتقاد فيه لأن ما نقل إليه هو رواية وتقريرا ولـــيس وحيا ، ولا يكون من اللائق اعتبار أن ما يرويه الإنسان أو ينقله هو كلمة الله فأضع بذلك الإنسان مكان الله).[٢]

والوحـــي بوصـــفه إخبار أو اتصال a communication بشيء ما هذا الشيء الموحـــي للشـــخص هو لا يعرفه من قبل لأنه إذا عرفه أو رآه أو فعله ، فلا حاجة للوحي ليخبرني أنني فعلته ورأيتـــه وليس قادرا علي أن أحكيه أو أكتبه . فالوحي

1- THOMAS PAINE, Age Of Reason, Part I ,P.9-10.

2- THOMAS PAINE, Age Of Reason,Part II,P.239 .

لا يمكن أن يكون متطابقا أو موافقا لأي شيء تم فعله على الأرض . ويكون الإنسان نفسه فيه هو الفاعل والشاهد . ومن ثم فإن كل الأجزاء التاريخية والقصصية هي تقريبا ليست في داخل مجال الوحي ومعناه . فهي ليست بكلمة الله).[١] وعندما نقرأ قصص الفجور والشهوانية والعنف والتعذيب والقسوة التي تشغل أكثر من نصف كتاب التوراة ربما يكون أكثر اتساقا لو أسميناه كلمة الشيطان أكثر مما نسميه كلمة الله. إنه تاريخ للشر لا يخدم إلا الفاسدين المتوحشين . ننفر منه كما ننفر من كل شيء قاس عنيف).[٢]

وأعظم شر تمجه النفس العنف والقسوة المرعبة . والبؤس الأعظم الذي يثير حزن الجنس البشري له أصله أو مصدره في هذا الشيء المسمي وحي أو دين الوحي .فيكون اعتقادا شائنا ضد سمة الألوهية ، اعتقادا مدمرا للأخلاق والسلام وسعادة الإنسان... لأننا سمحنا لواحد دجال متوحش مثل موسي ويوشع وصموئيل أنبياء التوراة بأن جاءوا وادعوا كلمة الله من فمه وكان التصديق بهم بيننا... وعندما تحدث الاغتيالات المرعبة في كل الأمم للرجال والنساء والأطفال وقد امتلئ بها التوراة من اضطهاد وتعذيب وحروب دموية وموت.كما هو حال الحروب الدينية التي أغرقت أوربا في الدم وجثث الموتى وكل ذلك ناشئ عن الشيء المسمي دين الوحي).[٣]

فتطبيق مصطلح الوحي على كتب العهد القديم والجديد هو استخدام سيئ للمصطلح. فالوحي خارج عن موضوع أي شيء كان له ذلك الإنسان فاعلا أو شاهدا. فالذي فعل ورأي لا يحتاج للوحي ليخبره أنه فعل الشيء وأنه رآه لأنه عرفه في الحال . ويكون سوء تطبيق لمصطلح الوحي وتعريف غير صحيح له أن نصنف تحت مصطلح الوحي ما يسمي بالكتب السماوية أو الكتب المقدسة).[٤]

1- THOMAS PAINE, Age Of Reason,Part I ,P.21 .

2- THOMAS PAINE, Age Of Reason,Part I ,P.24.

3- THOMAS PAINE, Age Of Reason,Part II ,P.240-241.

4- THOMAS PAINE, Age Of Reason,Part II ,P.238 .

وما يراه توماس بين في كلمة الله المكتوبة واعتبارها نقلا وليس وحيا يتعارض والرأي القائل إن صحة الوحي التاريخية هو من عمل المؤرخين والرواة والنقلة وعلماء الحديث ، وما ساعد على ذلك كتابة الوحي الإسلامي منذ ساعة الإعلان، فلم يمر الوحي الإسلامي بمرحلة شفوية قد يحدث فيها التغيير والتحريف والتبديل ، حفظت نصوص الوحي كتابة وانتقلت من يد إلى يد حتى جمعها ... والوحي المكتوب أو الشفهي كلاهما خبر . والخبر يتحدد صدقه أو كذبه بالدليل، والدليل قد يكون داخليا بالاتفاق مع الحس والمشاهدة والعادة أو خارجيا عن طريق التواتر"[1] . وكل هذا موضع نقد من منظور توماس بين أساسه الاختلاف بين الوحي والنقل .

● ● ●

١- حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة، المجلد الرابع النبوة والميعاد ، مكتبة مدبولي ص٢٣٨-٢٣٩.

الفصل الثاني

التـــــــــوراة

فـــي نقـــد التوراة يبدأ توماس بين بنقد كتب موسى ثم تأتي باقي كتب التوراة تـــباعا فـــي ترتيـــبها . ويحاول في نقده لكتب موسى إثبات أن كتاب " التكوين " و "الخـــروج" و "اللاويين" و "العدد" و "التثنية" كتب زائفة لا يمكن أن تكون وحيا ، ولا يمكـــن إن يكـــون موســـى مبدعها ، هي لم تكتب في عصره وإنما كتبت في عصور لاحقة بعد عصر موسى بزمن بعيد .. فهذه الكتب ما هي إلا محاولة لكتابة تـــاريخ حياة موسى.وكذلك كتاب يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل ليست مكتوبة بواســـطة الأشـــخاص المنســـوبة إليهم ، ولم تكتب في زمنهم . إنها كتب بلا سند حقيقـــي ، ولا يمكن الادعاء وتسميتها كلمة الله والدليل الذي يستند اليه توماس بين في إثبات هذه القضية هو ليس دليلا خارجيا وإنما هو دليل داخلي من مضمون تلك الكتب المقدسة ذاتها من بداية التكوين إلى كتب الأنبياء . وكل حكم يصدره توماس بين على هذه الكتب المقدسة يؤسسه على تحليل لمضمون نصوصها ، والاستدلال مـــنه أدلة تاريخية وزمنية ولغوية فضلا عن كشفه تناقضات النص وعدم اتساقه ، إلى جانب بيان أن في هذه النصوص المقدسة يوجد ما هو مترجم عن لغات أخرى في ثقافات أخرى . وبذلك يستطيع توماس بين تأكيد قضيته ، والتقابل مع المدافعين عـــن الـــتوراة أو الإنجـــيل علـــى أرضهم الخاصة فيعارضهم بنفس سلاحهم أي بالنصوص ذاتها .

ونقد توماس بين للنصوص الدينية يجردها من أن تكون كلمة الله الحقيقية .[١]

علـــى أساس من التحليل النقدي للنصوص المقدسة يقدم أدلته من داخل النصوص حيث لا يوجد لديه أي دليل خارجي، وهو لا يأخذ في نقده بمنهج التواتر أو تطبيق شروط التواتر على الكتب المقدسة كما يأخذ به المفكرون[٢] المسلمون ولكن التحليل النقدي للنصوص أدلته في النقد تقوم من داخل النصوص المقدسة ذاتها أي تؤسس على مضمونها الداخلي.

---

١ - وتومـــاس بيـــن في نقده للكتب المقدسة يتقارب ونقد اسبينوزا فيري التوراة والعهد كلام الله مـــنقوص ومزيف ومحرف. وإننا لا نملك منه إلا شذرات . وإن الميثاق الذى يشهد بعقد الله عهـــدا مـــع اليهود قد فقد . سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة الدكتور حسن حنفى ، الأنجلو المصرية ، ص ٣٣٧.)

٢ - يقول الدكتور حسن حنفي (تواتر الرسالة أساس صحتها التاريخية وبقاؤها بلا تزييف أو تبديل أو تحريف ، والتواتر أساس المعرفة التاريخية يستحيل معه التواطؤ على الكذب.. فصحة الوحي التاريخية هو من عمل المؤرخين والرواة والنقلة وعلماء الحديث، والوحي المكتوب أو الشفهي كلاهما خبر. ... ويتحدد صدق الخبر أو كذبه بالدليل، والدليل قد يكون داخليا بالاتفاق مع الحس والمشاهدة والعادة أو خارجيا عن طريق التواتر...والتواتر يفيد العلم اليقيني ،ولا يفيد التواتر العلم اليقيني بذاته بل بشروطه ، وهي شروط أربعة تؤدي في مجموعها إلى يقين التواتر...والشرط الأول للتواتر هو العدد الكافي من الرواة. فالاخبار المتواترة بمجموعها وليس بآحادها تعطي اليقين.فيقين التواتر كل معنوي لا يتجزأ...والشرط الثاني للتواتر هو استقلال الرواة عن بعضهم بحيث يمتنع تواطؤهم على الكذب فإذا جاز الكذب على واحد فلا يجوز الكذب على الكل...والشرط الثالث هو تجانس انتشار الرواية في الزمان أو العلم باستواء الطرفين في الرواية، استواء أول الرواية مع وسطها وآخرها من حيث الانتشار...وتجانس الانتشار عبر الأجيال خاصة في الفترة الشفهية يبين عدم تغير الظروف وتجدد المصالح وحياد الراوى. وتصبح الرواية معروفة عند الكافة ينقلها الكافة عن الكافة من جيل عن جيل دون ذيوع زائد أو كتمان مريب...والشرط الرابع هو الاخبار عن حس . فالرواية في أصلها اخبار عن حس ومشاهدة، سمع وبصر .وشهادة الحس مع أوائل العقول مكونان رئيسيان في نظرية العلم قبل المكون الثالث وهو النقل.فصحة النقل قائمة أولا على شهادة الحس واوائل العقل وبداهة الوجدان. والتواتر أساس المعرفة التاريخية يستحيل معه التواطؤ على الكذب.. حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة ، المجلد الرابع ، النبوة والمعاد ، مكتبة مدبولى ، ص٢٣٢-٢٤٥)

(وراجع أيضا في منهج التواتر الشيخ عبد الله عبد الرحمن الجبرين، أخبار الآحاد في الحديث النبوى حجيتها، مفادها ، العمل بموجبها. دار طيبة.المملكة العربية السعودية سنة ١٩٨٧، ص ٣١.)

أولا : الدليل اللغوي .

الأســلوب والطريقة التي كتبت بها هذه الكتب (التكوين والخروج واللاويين والعــدد والتثنـية) لـم تترك مجالا للاعتقاد أو حتى لافتراض أنها كتبت بواسطة موســي، وإنما هي في الأسلوب والطريقة لشخص آخر يتحدث عن موسى. حيث يقول " الرب قال لموسى "، " موسى قال للرب "، " موسى قال للشعب " ، " الشعب قال لموسى ". هذا هو أسلوب التاريخيين المستعمل في الكلام عن الأشخاص الذين لم يكتبوا سيرة حياتهم وأفعالهم بأنفسهم . وربما يقال إن الإنسان يمكن أن يتكلم عن نفسه في الشخص الثالث ، ولذلك يمكن افتراض أن موسى كاتب هذه الكتب. ولكن هــذا مجــرد افتراض لا يثبت شيئا . وعلى فرض الصحة اللغوية أن موسى ربما يــتكلم عــن نفسه في الشخص الثالث لأن أى إنسان يمكن أن يتكلم عن نفسه بهذه الطــريقة . إلا أن هــذا لا يمكــن التسليم به بوصفه حقيقة وكأن موسى هو الذي يتحدث في هذه الكتب بدون رد أو ارجاع لموسى فهذا سخف.(١)

و قــد جاء في كتاب " العدد " (١٢:٣) " وأما الرجل فكان موسى حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض ." لو قال موسى هذا الكلام عن نفسه لكان واحدا من أعظم المختالين المتكبرين. ولا يبقي أمام المدافعين عن هذه الكتب إلا أن يخــتاروا بين أمرين ، الأمر الأول : أن موسى ليس مؤلف هذه الكتب فهي كتــب مجهولــة بلا سند. والأمر الثاني : الادعاء أن موسى مؤلف هذه الكتب فهو ادعاء بلا مصداقية لأن التفاخر بالوداعة ورقة العواطف عكس الوداعة والرقة فهو كذب في العواطف .

وفــي كتاب " التثنية " أسلوب وطريقة الكتابة تؤكد بوضوح أن موسى ليس مؤلــف هذه الكتب.فالطريقة المستعملة درامية حيث يفتتح المؤلف الموضوع ، ثم بخطــاب تقديم قصير ثم يدخل موسى في فعل الحديث ، وعندما تكلم موسى وأنهى خطبته يستأنف المؤلف حديثه حتى يحضر موسى مرة أخرى ، ويغلق المؤلف في

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON ,Part II, Willey Book Company New York,P. 106.

الــنهاية المشــهد بتبرير الموت والجنازة وسمات شخصية موسى.هذا التناوب بين المتحدثيــن (موسى والمؤلف)يحدث أربع مرات في كتاب التثنية من السفر الأول في الفصل الأول إلى نهاية السفر الخامس حيث يكون المؤلف هو المتكلم ثم يدخل موسى بعد ذلك ويستمر متحدثا حتى السفر الأربعين من الفصل الرابع حيث ينتهي حديــث موســى ويستأنف المؤلف كلامه ويتحدث بشكل تاريخي عما تم فعله تباعا ويروى بشكل درامي.)[1] ومرة أخرى يفتتح المؤلف الموضوع في السفر الأول من الفصــل الخــامس بالقول "دعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم". ثم أدخل المؤلف موســى كمــا فعل من قبل وجعله يستمر بوصفه المتكلم إلى نهاية الفصل السادس والعشــرين . ويفعــل المؤلــف نفــس الشــيء عيــنه فــي بداية الفصل السابع والعشرين،وبعد أن يفتتح المؤلف الموضوع أدخل موسى ، ويستمر موسى بوصفه المــتحدث إلى نهاية الفصل التاسع والعشرين ثم يتحدث المؤلف مرة أخرى ويشغل حديثه كل السفر الأول والسطر الأول من السفر الثاني ثم يدخل المؤلف موسى مرة أخــرى بوصــفه المتكلم ويستمر موسى متحدثا إلى نهاية الفصل ثلاثة وثلاثين . ويكــرر المؤلــف الــرواية عــن دور موســى ويستمر متحدثا خلال كل الفصل الأخــير.حيث يخبر القارئ أن موسى ذهب إلى قمة جبل Pisgah ومن هناك رأى الأرض التــي وعــد بها إبراهيم Abraham وإسحاق ويعقوب.ويقول المؤلف أيضا مــات موسى في أرض أواب Moab ، ولكن لا يوجد إنسان يعرف قبره حتى هذا الوقــت أي حــتى هذا الوقت الذي عاش فيه المؤلف وكتب كتاب التثنية. ويخبرنا مؤلــف التثنية أن موسى مات وهو في عمر مائة وعشرة سنة، لم تكن عيناه غبشة ولا قوتــه الطبيعية ضعيفة ، ولم ينشأ نبي في إسرائيل مثل موسى الذي يقول عنه المؤلف أنه عرف الرب وجها لوجه.) [2] هكذا يوضح الدليل اللغوي أن موسى ليس مؤلفا لهذه الكتب .

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II, P. 107.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON ,P.108

ومـــا يســـتخدمه توماس من أدلة لبيان زيف كتب موسى ينسحب أيضا على كـــتاب يوشـــع Joshua ، ليثبـــت بالدليل اللغوي أن يوشع ليس مؤلفا لهذا الكتاب فالكتاب غفل بدون سند . والدليل على هذا متضمن في الكتاب ذاته . ولا يخرج أبدا عن كتب التوراة .

وكـــتاب يوشـــع لا يختلف عن الكتب السابقة مكتوب بواسطة شخص ثالث، ويكـــون من السخف والغرور أن يتحدث يوشع عن نفسه كما هو مكتوب عنه في الســـفر الأخـــير مـــن الفصل السادس " كان الرب مع يوشع وكان خبره في جميع الأرض . (أي أنـــه اشـــتهر وذاع صيته في كل مكان وكل بلد .)[1] فيوشع ليس مؤلـــف هـــذا الكتاب فهو كتاب بلا سند وطريقة التعبير اللغوي التي يبدأ بها كتاب يوشع (١ : ١) يقول : " الآن بعد موت موسى ...." هي الطريقة عينها التي يبدأ بها كتاب القضاة JUDGES (١ :١)

" والآن بعـــد موت يوشع...." وهذا النموذج المتماثل من التعبير في الكتابين يشـــير إلـــى أنهما من عمل مؤلف واحد بعينه . ولكن من هو المؤلف ؟ هو غير معروف في الكتابين .)[2].

وكتاب راعوث RUTH قصة عقيمة ملفقة ولا أحد يعرف بواسطة من تجولت الفـــتاة الريفـــية زاحفة بدهاء إلى سرير أبن عمها بوعز BOAZ مادة كتابية جميلة يسمونها كلمة ال له.

أمـــا عن كتابي صموئيل الأول والثاني .SAMUEL I & II يري توماس بين أنهمـــا مثل كل الكتب السابقة بدون سند مجهولة كتبت بعد صموئيل بوقت طويل . وهـــي مكـــتوبة في مادة لغوية تؤكد هذا. مثل قصة شاول SAUL الذي يبحث عن حمـــير والـــده وتقـــابل مـــع صـــموئيل وذهبا معا إلى الساحر للبحث عن الحمير المفقـــودة.ومؤلـــف قصة شاول والحمير وصموئيل لم يحكى القصة بوصفها شيئا

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , P.125.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON,P.129.

حـــدث في الحال بل بوصفها قصة قديمة عن الزمن الذي عاش فيه المؤلف . لذلك يحكـــى المؤلـــف القصة في اللغة والمصلحات المستعملة في الزمن أو الوقت الذي عاش فيه صموئيل، ثم يفسر القصة باللغة المستعملة في العصر الذي عاش فيه هو (أي المؤلـــف) . وفي التقرير المعطى عن صموئيل في الكتاب الأول (٩: ١١، ١٨) نجـــد أنـــه يسمى صموئيل الرائى The Seer)) وبهذا المصطلح فإن شاول وخادمه يباحثان عنه." وفيما هما صاعدان في مطلع المدينة صادفا فتيات خارجات لاســـتقاء المـــاء . فقالا لهن أهنا الرائي ؟ فأجابتهما وقلن نعم ... فتقدم شاول إلى صموئيل في وسط الباب وقال أطلب إليك أخبرني أين بيت الرائي؟ فأجاب صموئيل وقـــال أنا الرائي . هكذا مؤلف كتاب صموئيل يكتب بلغة وطريقة الحديث المألوفة فـــي العصر التي اعتادوا يتكلمون بها .لذلك كانت طريقة الحديث ضرورية. ولكي يجعـــل القصة مفهومة فسر المصطلحات التي يتحدثون بها وفعل هذا في صموئيل الأول (٩ : ٩)جاء فيه " في الزمن السابق في إسرائيل عندما ذهب الإنسان ليسأل عن الله كان يقول هلم نذهب إلى الرائي لأن نبي اليوم كان قبل زمن يسمى الرائي. " فقصـــة شاول وصموئيل والحمير قصة قديمة عن زمن كتابة الكتاب صموئيل ، ومن ثم فإن صموئيل ليس كاتبه وهو كتاب بلا سند."[١]

ثانيا : الدليل التاريخي والزمني واللغة التاريخية.

يستند توماس بين إلى الدليل التاريخي و الدليل الزمني بحسب ترتيب الوقائع وفقـــا لتواريخ التوراة وتسلسلها الزمني ليجعلها ذاتها إثباتا أو دليلا على أن موسى لـــيس مبدع هذه الكتب المنسوبة إليه وكذلك الأشخاص الذين تنسب إليهم باق كتب التوراة .ويبدأ توماس بين بكتاب التكوين ، وفي الفصل الرابع يقدم مؤلف التكوين تقريـــرا عن لوط LOT وأنه سجن أثر معركة كان أطرافها أربعة ملوك ضد ملك

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON ,P.132-133.

خـــامس، وعـــندما تقرر أخذ لوط إلى السجن جاء إبراهيم ABRAHAM وسلح كل أهل منزله وسار ليخلص لوط من سجنه وتعقبهم حتى " دان" (التكوين ١٤: ١٤).

ويـــتخذ تومـــاس بيـــن من واقعة ملاحقة إبراهيم لهم حتى " دان " لمحاولة تخلـــيص لوط دليل تاريخي على أن موسى ليس مؤلف التوراة فيقول موضحا ذلك بمـــثال مـــن العصر الحديث يقول فيه أشير في هذه القضية إلى مدينتين واحدة في أمـــريكا والأخرى في فرنسا. في أمريكا المدينة المسماة الآن" نيويورك" كانت في الأصل " نيو أمستردام "ثم تغير أسمها إلى نيويورك في سنة ١٦٦٤... فأي مكتوب يكتب بدون تاريخ ويذكر فيه أسم نيويورك، فاسم نيويورك دليل واضح على أن هذا المكـــتوب لا يمكـــن أن يكون مكتوبا قبل سنة ١٦٦٤...وتأسيسا على هذا يخلص تومـــاس بيـــن أنـــه لم يكن هناك مكانا يسمى " دان" حتى سنوات كثيرة بعد موت موســـى . ومن ثم فإن موسى لا يمكن أن يكون كاتب كتاب التكوين ، لأن المكان المسمي " دان "في التوراة هو في الأصل مدينة الوثنيين Gentiles التي كانت تسمي " لايـــش Laish " . وعندما قبيلة دان استولت عليها وأحكمت قبضتها غيروا اسمها مـــن اســـم Laish إلى اسم " دان " Dan . وكان دان أب لهذه القبيلة ، وهو الحفيد الأكبر لإبرام.)[1]

وكتاب القضاة Judges يؤكد بشكل أقوى دليل توماس بين ففي الفصل (١٨ : ٢٧ - ٢٨) أتـــي الدانيون إلى مدينة لاش والشعب كان هادئا فأفزعوهم وجرفوهم إلى الحرب ، وبعد أن أخذ الدانيون وضعهم في لاش غيروا أسمها إلى أسم والدهم دان.وهذا التقرير موضوع مباشرة في كتاب القضاة بعد موت Sampson الذى يقال أنـــه حدث ١١٢٠ سنة قبل المسيح. لذلك وفقا للتسلسل الزمني والترتيب التاريخي المكان لم يكن يسمى دان حتى سنة ٣٣١ بعد موت موسى.)[2]

وثمـــة خلـــط في كتاب القضاة بين الترتيب التاريخي والترتيب الزمني (أي الترتيـــب بحســـب تسلسل الوقائع ، فالفصول الخمسة الأخيرة كما هي موجودة في

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON,P.113-114

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON ,P. 114.

الكـتاب (فصـل ١٧ ،١٨ ، ١٩، ٢٠، ٢١) هي مكتوبة زمنيا قبل كل الفصول السابقة عليها ، مكتوبة قبل (الفصل ١٦) بـ ٢٨سنة ،وقبل (الفصل ١٥)بـ٢٦٦ سنة، وقبل (الفصل ١٣) بـ٢٤٥ سنة، وقبل (الفصل ٩) بـ ١٩٥ سنة ، وقبل (الفصـل ٤) بـ ٩٠ سنة ، وقبل (الفصل الأول) بـ ١٥ سنة . وهذا يوضح الحالـة غير الدقيقة والخرافية للتوراة وفقا للترتيب الزمني . لذلك فالاستيلاء على لاش Laish وتغيير اسمها إلى دان تم من ٢٠ سنة بعد موت يوشع JOSHUA وهو واحـد من خلف موسى. ووفقا للترتيب التاريخي الموجود بالكتاب فقد تم ذلك بعد موت يوشع بـ ٣٠٦سنة ، وبعد موت موسى ٣٣١ سنة . وكل هذا يؤكد أن موسى لم يكن مؤلف التكوين لأنه وفقا للروايات الموجودة لا يوجد هذا المكان المسمى دان فـي زمن موسى.ولذلك فإن مؤلف التكوين يجب أن يكون عاش بعد أن تغير أسم مديـنة لاش Laish إلـى مدينة دان DAN . فمن ذلك الشخص الذي كتب التكوين لا يعرفه أحد ، فكتاب التكوين بغير سند.)[1]

وأي مؤلفـات غـير مؤرخة تتكلم عن أحداث ماضية .. تكون دليلا واضحا علـى أن هـذه المؤلفات لا يمكن أن تكون قد كتبت قبل الوقائع التي تتحدث عنها. وكذلك من المستحيل أن تكون مكتوبة بواسطة أي شخص مات قبل أن تحدث هذه الوقـائع . ولا شيء أكثر صراحة في التاريخ من الإشارة إلى الواقعة ومؤرخة ، فالواقعـة تستقر في الذاكرة أفضل من التاريخ a date ، كما تتضمن الواقعة التاريخ لهذا هي تستخدم لإثارة فكرتين في وقت واحد . وهذه الطريقة في الحديث بواسطة الوقـائع تتضـمن بشكل إيجابي أن الواقعة تشير إلى ما هو ماضي وتعبر عنه . وعـندما يتحدث شخص عن موضوع ويقول مثلا : أنه كان قبل أن يتزوج أو قبل ولادة ابـنه،أو قبل أن يذهب إلى فرنسا، يفهم من كلامه على نحو مطلق أنه تزوج ولديه ابن ، وإنه يعيش في فرنسا. فاللغة لا تقبل استعمال هذا النوع من التعبير بأي معني آخر، وعندما مثل هذا التعبير يوجد في أي مكان يفهم فقط بالمعنى الذي فيه يمكن استعماله. لذلك فإن السفر الذي يقتبسه توماس بين من التكوين يقول " هؤلاء

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P. 115.

هـــم الملـــوك الذيـــن ملكوا في ارض أدوم قبل أن يوجد هناك أي ملك حاكم لبني إســـرائيل." (التكويـــن ٣٦ : ٣١) فهذا السفر يمكن أن يكون كتب بعد أن بدأ حكم أول ملـــك علـــيهم. وتأسيسا على هذا فإن كتاب التكوين لا يمكن أن يكون مكتوبا بواسطة موسى . ولا يمكن أن يكون قد كتب حتى عصر شاول SAUL على الأقل، وهـــذا هو المعني الإيجابي لهذه الفقرة ، ولكن تعبير " أي ملك يشير إلى أكثر من ملك .. والفقرة بالمعني العام تشير إلى كل عصر الحكومة الملكية.)[١]

أن هذا السفر المقتبس وكل الأسفار الباقية من الفصل (٣٦) من كتاب التكوين هـــي موجودة كلمة بكلمة في الفصل الأول من أسفار الأخبار CHE?RONICLES بداية من السفر (٤٣) " هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في ارض أدوم قبل أن يوجد أي ملـــك حـــاكم لبنـــي إسرائيل." . ويتحدث كتابي الأخبار عن تاريخ كل ملوك إســـرائيل فهـــي مكـــتوبة بعد أن بدأت الحكومة الملكية لليهود. ومن المستحيل أن يســـتخدم المؤلف هذا التعبير عينه المذكور في السفر (٤٣) قبل وجود عصـــر حكم ملـــوك اليهود. هكذا تثبت اللغة التاريخية أن هذا الجزء من التكوين هو ليس هكذا قديما ولا يعتبر قديما عن أسفار الأخبار .[٢]

ويدلـــل توماس بين على أن كتاب " الخروج " EXODUS لا يمكن أن ينسب إلى موسى . ففي الفصل (١٦ : ٣٥) يقول" وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة . أكلوا المن حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان."... وهذا التقرير لا يمكن أن يكون موسى هو الذي كتب. ووفقا للتوراة مات موسى في القفر ولم يصل إطلاقا إلى حدود أرض كنعان ، ومن ثم لا يمكن أن يكون هو الذي قـــال وحكي ما فعله بني إسرائيل..إن هذا التقرير يمتد إلى زمن يوشع JOSHUA كما يبدو من التقرير الموجود في كتاب يوشع الفصل(٥ : ١٢) " وأنقطع المن في

1- THOMAS PAINE AGE OF REASON , Part II, P.116-117.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.117.

الغـد عند أكلهم من غلة الأرض ولم يكن لبني إسرائيل من ، فأكلوا من محصول أرض كنعان في تلك السنة.")[1]

والدليل التاريخي والزمني واللغة التاريخية تؤكد أن يوشع لا يمكن أن يكون مؤلف الكتاب الذي يحمل اسمه . وفي الفصل (٢٤ : ٣١) " "خدمت إسرائيل الرب كـل أيام يوشع وكل أيام الشيوخ الذين عاشوا بعد يوشع . " وباسم الحس المشترك هـل يمكن أن يكون يوشع هو الذي يشير لما فعله البشر بعد أن مات هو؟ إن الذي كتـب هذا التقرير ليس بعض التاريخيين فحسب الذين عاشوا بعد يوشع بل وأيضا الشيوخ الذين عاشوا بعده . وهناك فقرات عديدة متناثرة في كل كتاب يوشع ولكن دون تحديد أو تخصيص زمن معين كما في السفر المقتبس سابقا. فالفاصل الزمني بيـن مـوت يوشع وموت الشيوخ رغم عدم تحديده هو دليل يثبت أن كتاب يوشع لا يمكن أن يكون مكتوبا بواسطة يوشع.)[2]

والزمـن من حيث هو عام غير محدد يعبر عن طول المدة الزمنية ويستخدم كثـيرا في كتاب يوشع ففي الفصل (٨ : ٢٨) " وأحرق يوشع مدينة عاي وجعلها تـلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم . "وفي نفس الفصل (٨ :٢٩) يتحدث عن ملك عاي الـذي شـنقه يوشـع وأحرقه في مدخل البوابة . فيقول : " وملك عاي علقه على الخشبة إلى وقت المساء ، وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطـرحوها عـند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة إلى هذا الـيوم . " وأيضـا في الفصل العاشر بعد أن تكلم عن الملوك الخمسة الذي شنقهم يوشـع علـى خمس شجرات ثم القي بهم في كهف . ويقال أن يوشع أتي بحجارة ضخمة ووضعها على فوهة الكهف وهي باقية إلى هذا اليوم عينه (١٠ : ٢٧).[3] وفي الفصـل (١٥ : ٦٣) من يوشـع يقال" وأما اليبوسيون الساكنون أورشـليم

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.122.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P .125.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.128.

لم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم." فحتى هذا اليوم معناه حتى اليوم الذي كتب فيه كتاب يوشع . ويؤكد توماس بالاستدلال من التوراة أن الكتاب كتب بفترة طويلة بعد موت يوشع فيقول: في القضاة في الفصل الأول بعد أن أعلن الكاتب موت يوشع يحكى ما حدث بين بنى يهوذا والسكان الأصليين في أرض كنعان ، وفي هذا الحين يذكر فجأة بشكل مقتضب أورشليم في السفر السابع ، وفي السفر الثامن تفسير أكثر " حارب بنو يهوذا ضد أورشليم استولوا عليها." معنى هذا النص أن كتاب القضاة وكتاب يوشع لم يكتبا قبل الاستيلاء على أورشليم . ولو رجعنا لكتاب يوشع (١٥ :٦٣) حيث يقول " سكن اليبوسيون في أورشليم مع بنى يهوذا إلى هذا اليوم." ولو رجعنا إلى صموئيل الثاني نجد أن مدينة أورشليم لم يستولوا عليها حتى وقت داود ومن ثم فإن كتابي يوشع والقضاة لم يكتبا حتي بعد بدء حكم داود David الذى كان في سنة ٣٧٠ بعد موت يوشع . والدليل علي ذلك في صموئيل الثانى ، حيث أسم المدينة التي سميت فيما بعد أورشليم كانت في الأصل " Jebus" أو Jebusi " وكانت عاصمة اليبوسيون Jebusites وتقرير داود الخاص بالاستيلاء على هذه المدينة موجود في كتاب صموئيل الثاني في الفصل (٥ : ٤-١٥) ولم يذكر في أي جزء من التوراة الاستيلاء على هذه المدينة من قبل...والملاحظ أن الاستيلاء عليها كان بشروط وفقا لها عاش اليبوسيون وبنو يهوذا معا في أورشليم حتى هذا اليوم. وهذا اليوم لا يوافق أي تاريخ آخر إلا استيلاء داود على المدينة.)[١]

والدليل التاريخي الأكثر إيجابية على أن صموئيل ليس مؤلف الكتب التى تحمل اسمه هو متضمن في هذه الكتب . ذلك أن صموئيل قد مات قبل شاول كما جاء في صموئيل الأول (٢٨ : ٣ -١٦) ويقول شاول أنه لجأ إلى ساحر عين دور Endor ليعيد صموئيل إلى الحياة ليعلم شاول ماذا يصنع بعد أن ضاق به الأمر وفارقه الرب ولم يجيبه لا بالأنبياء ولا بالأحلام."

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.130 -131.

وتقريــر مــوت صموئيل ودفنه المذكور في الفصل (٢٥ :١) في الكتاب الأول. ولا يمكن أن يكون صموئيل هو الذي كتب التقرير موته ودفنه ، فهو الشيء الذي لا يستطيع أن يكتبه أي إنسان بنفسه . ويبدأ الكتاب الثاني من صموئيل بتقرير عن موت شاول الذي حدث بعد صموئيل باربعة سنوات ، ويبدأ حكم داود بعد موت شاول ويستمر ثلاثة واربعين سنة بعد موت صموئيل. لذلك فإن كتب صموئيل هي ذاتها دليل وضعي ايجابي على أنها لم تكن مكتوبة بواسطة صموئيل.)[1]

ويلاحــظ القــارئ لكتــب الملوك والأخبار صمت مؤلفيها عن أولئك البشر نموذج الأنبياء الذي ملئت كتاباتهم الجزء الأخير من التوراة . فالنبي أشعياء Isaiah الــذي عــاش في عصر Hezekiah جاء ذكره في كتاب الملوك مرة وفي الأخبار مرة ، أمثلة طفيفة لا يعتد بها ولا يشير إلى أحد من باقي الأنبياء . فإذا كان هؤلاء الأنبيــاء لهــم أهمية في عصرهم فلماذا لم يقل التاريخ عنهم شيئا .. ولماذا صمت كتابــي الملوك وكتابي الأخبار عنهم فتاريخهم سابقا لسنة ٥٨٨ قبل المسيح ، لذلك يبحث توماس بين عن هؤلاء الأنبياء الذين عاشوا في هذه الفترة قبل المسيح ويرسم قائمة بأسمائهم وفقا للتسلسل التاريخي المضاف إلى الفصل الأول في كل من كتب الأنبياء . ويحدد عدد السنوات التي عاشــوها قبل أن تكتب كتب الملوك والأخبار . ويســـأل تومـــاس بيــن عن ســبب صمت مؤلفي الملوك والأخبـــار عن أولئك الأنبياء الذين وصفهم توماس بين في الجزء الأول من عصـــر العقل بأنهم شعراء وجــردهم فــي صمت من مقــام النبوة كما يعامل أي تاريخي في الوقت الحاضر Peter Pindar . .)[2]

ومــن الأدلة الزمنية على أن كتاب التكوين ليس موسى كاتبه ولم يكتب في زمــنه وإنما كتبه شخص غير معروف لم يكن موجودا حتى بعد موت موسى بما يقــرب ٨٦٠ ســنة تقريــبا هذا الدليل يستند على أمرين : الأمر الأول يتضح من المقارنــة بيــن الفصل (٣٦) سفر (٣١) من التكوين الذي يشير بوضوح إلى

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.134.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.143.

الزمن بعد بداية حكم الملوك على بني إسرائل. وهذا السفر هو بعينه كلمة بكلمة في كـتاب الأخـبار الأول فصـل (١) سفر (٤٣)، ويقوم باتساق على نظام تاريخي لا وجـود له فـي التكوين. وإنما يشير بوضوح إلى زمن كتاب الأخبار ، والأمر الثانـي : أن كتاب الأخبار الذي يشير اليه التكوين (٣٦ :٣١ لم يكن هذا الكتاب مكتوبا حتى سنة ٨٦٠ تقريبا بعد زمن موسى. وهذا إثباته بين من الكتاب الأول في الاخـبار في ثلاثة عشرة سفرا من الفصل الثالث،حيث يعطى المؤلف سلسلة نسب مـن نسـل داود فـيذكر صـدقيا Zeddekiah وفـي عصره حدث أن نبوخذاصر Nebuchadnezzarقـد هزم أورشليم Jerusalem في سنة ٥٨٨ قبل المسيح ومن ثم أكثر من ٨٦٠ سنة بعد موسى.)[1]

والدليل الزمني إي الدليل بحسب ترتيب الوقائع يؤكد أن كتاب اشعياء Isaiah فـي الجـزء الاخير من الفصل(٤٤) وبداية الفصل (٤٥) بعيد جدا عن أن يكون مكـتوبا بواسطة اشعياء.إلا أنه يمكن أن يكون قد كتبه بعض الاشخاص أو شخص عـاش على الأقل ١٥٠ سنة بعد موت اشعياء.وهذه الفصول هي ثناء على كورش Cyrus الـذي سمح لليهود بالعودة إلى أورشليم من الأسر البابلي ليعيد بناء أورشليم والمعبد..والسفر الأخير من الفصل (٤٤) وبداية الفصل (٤٥) جاء فيهما " هكذا قال الرب عن كورش هو راعي ومتمم سعادتي ومسرتي ، ويقول عن أورشليم ستبني ، وعن المعبد سيؤسس. هكذا يقول الرب لمسيح لكورش أمسكت بيمينه لاخضع أمامه أممـا ، واطلـق اسـود الملوك لأفتح أمامه بوابتين، والابواب لا تغلق، أنا أسير قدامـك.." و فرضـت الكنيسـة بجهلها وكهنوتها الكتاب على العالم بوصفه كتاب لاشعياء ، بينما أشعياء وفقا لعلم التواريخ وتسلسلها مات بعد موت حزقيا الذي كان فـي سنة ٦٩٣ قبل المسيح، وقرار كورش بتفضيل عودة اليهود إلى أورشليم كان وفقا لعلم التواريخ سنة ٥٣٦، أي ١٦٢ سنة بين موت حزقيا وقرار كورش . لذلك يرى توماس بين أن جامعي ومصنفي التوراة التقطوا بعض المقالات الغفل المفككة ووضـعوها معـا تحـت أسماء هؤلاء المؤلفين بوصفها أسماء مناسبة لاغراضهم

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P. 145.

وشجعوا الافتراض الذي اختلقوه ، وكان يجب عليهم ملاحظة أننا عندما نرى الحيل المدروسة لصانعي الكتاب المقدس في أن جعلوا كل جزء من هذا الكتاب يميل إلى فكـــرة شاذة عن أبن الله المولود بواسطة الروح في جسد العذراء أنه لا يوجد هناك مـــا يمنع الشك فيهم .. مهما كانت بداية كل فصل وأعلى كل صفحة مزينة بأسماء المســـيح والكنيســـة . والقـــارئ غير الحذر ربما لا يدرك الخطأ قبل أن يصل في القـــراءة فـــي أشـــعياء فـــي الفصل (٧ : ١٤) ها العذراء تحبل وتلد ابنا أسمه عمانوئـــيل، وتـــرجم هذا السفر بمعني الشخص المسمى يسوع المسيح وأمه مريم، أحـــدث دوى خـــلال المملكة المسيحية لأكثر من الف سنة وشاع هذا الرأي. ولكن أريد أن أوضح أن التوراة مزيف وبازالة الأساس يسقط في الحال كل بناء الخرافة المقـــام علـــيه (أي العهد الجديد) ويوضح توماس بين أن هذه العبارة المذكورة في اشـــعياء لا تشـــير إلـــى المسيح وأمه أكثر مما تشير أي طفل وأمه. والقصة هي ببساطة أن ملك اسرائيل دخل في حرب ضد ملك يهوذا " وارتجف قلب ملك يهوذا وقلب شعبه ، وكأنها أشجار خشب تحركها الرياح." وفي هذا الموقف يتوجه أشعياء لملك يهوذا ويؤكد له بأسم الرب أن اعدائه لا يجب أن ينجحوا ضده ، ويسأله ملك يهـــوذا أن يطلب من الرب علامة، فيقول أشعياء الرب يعطيكم علامة " انظروا ها العذراء تحبل وتلد ابنا " وفي السفر (١٦)" وقبل أن يعرف هذا الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير 'تخلى الأرض التي تمقتها من كل ملوكها. " وهنا كانت العلامة أو الزمـــن المحدد لإنجاز الوعد قبل أن يعرف هذا الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير. وحتى يتجنب أشعياء أنه نبي مزيف لذلك يلزم عمل اللازم وتظهر العلامة. ومـــن المؤكد أنه لم يكن شيئا صعبا في أي وقت في العالم أن تجد فتاة مع طفل أو أن تجعلهـــا هكـــذا. وربما عرف أشعياء أمرا من هذا من قبل . وليس أنبياء ذلك الزمـــن أكثر صدقا من كهنته. ورغم ذلك يقول أشعياء في الفصل (٨ :٢)" وأن أشهد لنفسي شـــاهدين مخلصين أرويا الكاهن وزكـــريا بن يبرخيا ، فاقـــتربت إلى الـــــ propheteس فحبلـــت وولدت أبنا." هذه قصة الطفل والعذراء وكان التحريف السافر لهذه القصة في كتاب متى . وكان من مصلحة الكهنة أن توجد النظرية التي أسموها البشارة، وطبقوا هذه القصة لتشير إلى الشخص الذي أسموه يسوع المسيح

ويقولوا أنه مولود بواسطة الروح القدس من جسم المرأة التي اجتمع بها ، وبعد هذا أسـموها العذراء . ويلاحظ توماس بين أن في أشعياء (٧: ١٤) الطفل في النبوءة يسـمى "عمانوئيل " وهو أسم لم يطلق على أطفال آخرين أكثر من الشخصية التي تعنـيها الكلمـة وتشير إليها. بينما الطفل المولود من الـ prophetess كان يسمى Maher-shalal-hash-baz. والطفـل المولـود من مريم يسمى يسوع Jesus ... هذه قصة لا أتردد في عدم الاعتقاد فيها وأقول أنها قصة زائفة ولكن الله حق. [1].

ثالثا : التناقض وعدم الاتساق في مضمون الكتب المقدسة.

والغايـة من كشف جوانب التناقض وعدم الاتساق في كتب موسى والتوراة عامـة هي نفس غاية الدليل اللغوي والدليل الزمني والدليل التاريخي. هي بيان أن كتـب الـتوراة بـلا سند ، وأن الأسماء التي تحملها كتب التوراة ليس هي أسماء المؤلفيـن الحقيقيين لها، ولا يمكن أن يكونوا. فالتناقضات التي تحتويها هذه الكتب بقدر ما هي دليل على أنها كتب غفل فهي تكشف المثالب الخطيرة في التوراة، التي يستحيل معها أن تكون التوراة كلمة الله.

لا يمكـن أن يكـون موسى مؤلف كتاب " التثنية " بدليل أن الكتاب يخبرنا بذهاب موسى إلى قمة Pisgah ولم يظهر في أي وصف أو تقرير أنه نزل من هذه القمة مرة أخرى .ويخبرنا المؤلف أن موسى مات هناك في أرض أواب، وأنه دفنه فـي وادى أرض أواب.ولكن لما كان لا يوجد سابق أو متقدم للضمير " هو " فليس معروفا من ذلك الذي دفنه.فلو كان المؤلف يقصد أن الذي دفنه هو الله فكيف عرف المؤلـف هذا ؟ولماذا يجب علينا أن نعتقد في هذا الذي يقوله؟ طالما أننا لا نعرف من هو المؤلف الذي الف الكتاب وأخبرنا بهذا لأن من المؤكد ليس موسى نفسه هو الذي يخبرنا أين هو مدفون؟

وقـد أخـبرنا المؤلف أن لا إنسان يعرف أين قبر موسى حتى هذا اليوم أي الـيوم الـذي يعيش فيه المؤلف.فكيف عرف المؤلف أن موسى مدفون في أرض

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.162-166.

أواب؟ ولمـــا كان المؤلف بعد فترة طويلة من موسى كما هو واضح من استخدامه تعبير " حتى هذا اليوم " معناه فترة زمنية طويلة بعد موت موسى ، فمن المؤكد أنه لم يكن في جنازته.ومن ناحية أخرى من المستحيل أن يكون موسى نفسه هو الذي يقول : إن لا إنسان يعرف قبره حتى هذا اليوم. (١)

ويـــرى تومــــاس بين ثمة تناقض آخر فيما يختص بتبرير أو تعليل الأمر أو الوصــــية المذكـــورة فـــي الفصـــل العشرين من " الخروج " والفصل الخامس من " التثنـــية " وهـــذه الوصــــية خاصة براحة يوم السبت أو اليوم السابع . ففي كتاب الخــــروج مبرر الوصية "لأن في ستة أيام صنع الله السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الله يوم السبت وقدسه." ولكن سبب الوصية المذكور في كتاب " التثنية " هو خروج الإسرائيليين من مصر فهي لا تقدم ذكرا أو تنويها عن الخلق بل عن الخروج .)(٢) وربما هنا تختلف الباحثة قليلا مع توماس بين وترى أن سبب الوصية ليس هو الخروج كما يرى توماس بين وأذكر أن الوصـــية كمـــا هـــي في " التثنية " تقول " وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمـــل فـــيه عمـــلا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهـــائمك ونزيلك الذي في أبوابك **لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك**. وأذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت." فالسبب الأول لراحة يوم السبت كما هو مذكـــور في التثنية هو راحة العبد والأمة ، وأما تذكيره بالخروج من مصر ليذكره بأنه كان عبدا فعليه ألا ينسى ذلك ، أي عليه أن يشعر بجهد العبد ومعاناة العمل ، فيحافظ على راحة الســـبت للجميع . وســـبب قداســـة راحة يوم الســـبت في كتاب " الخـــروج " مرتـــبطة بالعمل الإلهي أو الخلق وراحة الله ، وفي كتاب " التثنية " مرتبط براحة الإنسان سيد أو عبد وكذلك الحيوان .

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.109-110.

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.111.

ومــن الأشــياء التي توجد في كتاب " التثنية " دون غيره من الكتب قوانين موســى ، وبيــن هــذه القوانيــن يوجد قانون يتسم بالوحشية غير عقلاني وغير إنســاني.يمنح هذا القانون للوالدين سلطة على الأبناء تصل حد الرجم والموت كما جــاء في التثنية " إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما.يمسكانه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته ... ويقولان لشــيوخ مدينــته أبننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت. فتنزع الشر من بينكم ويسمع كل إسرائيل ويخافون. (التثنية ٢١ : ١٨ ،١٩، ٢٠، ٢١)

ومن التناقضات أيضا التي تتضمنها الكتب المنسوبة إلى موسى، تلك المجازر المرعبة غير الإنسانية للرجال والنساء والأطفال التي أخبرتنا بها هذه الكتب وهي كمــا تقول تمت بأمر من الله . لذلك فالواجب الملقى على عاتق كل مؤله أن يدافع عن العدالة الأخلاقية لله ضد افتراءات ومثالب التوراة.)[١]

وكتابــي الملــوك KINGS وكتابــي الأخبار CHRONICLES جميعها كتب تاريخــية محــددة بحياة وأعمال الملوك اليهود. وفضلا عن أن هذه الكتب بلا سند لا نعرف لها مؤلف ، ولا مدى صدق الموضوعات المتضمنة فيها . ويقارن توماس بيــن كل من هذه الكتب مع الآخر ومع الأجزاء الأخرى من التوراة ليوضح الخلط والتناقض فضلا عن العنف والوحشية فيما يزعمون أنه كلمة الله .

فكتابي الملوك تاريخ من الاغتيالات والخيانات والخدع والحروب.والوحشية والعنف التي اعتاد اليهود ممارستها على الكنعانيين فقد غزي اليهود بلادهم بوحشية بموجــب ادعــاء أنه أمر من الله. ثم بعد ذلك مارسوا الوحشية والشراسة كل على الآخــر.وفــي الكتاب الثاني للملوك (١٠ :٧) التقرير المعطي عن سلتين مملوئتين برؤس سبعين فردا ،تم قتلهم ووضعهم عند مدخل المدينة. وادعي قاتلهم أن الله قد رسمه ليكون ملكا بغرض اقتراف هذه الأفعال الدموية .وفي الكتاب لثاني أيضا من

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.109.

الملــوك (١٥ : ١٦) جــاء فيه أن منحيم قتل شلوم وهو واحد من ملوك إسرائيل، وضرب منحيم مدينة تفحص وكل ما بها وتخومها لأنهم لم يفتحوا له ضربها وشق جميع نسائها الحوامل.)[١]

الــيس مــن التناقض أن نسمح لنفسنا افتراض أن القدير يميز أمة من البشر يسميها " شعب الله المختار "ولو كان شعبا مختارا حقا لكان مثالا من النقاء والشفقة والإنســانية. وليس أمة مثل هؤلاء الأوغاد اليهود القتلة الذين فسدوا بواسطة تقليد الوحــوش الدجاليــن موسى وهارون Aaron ويوشع Joshue وصموئيل وداود لقد ميزوا أنفسهم فوق الكل على وجه الأرض وعرفوا بالبربرية والشر. وإذا لم نغلق عيوننا وتتحجر قلوبنا يكون من المستحيل أن لا نري بالرغم من كل الخرافات التي أسســوها وأقحموهــا على العقل أن لقب شعب الله المختار هو ليس أكثر من كذبة اخــترعها القــادة والكهنة اليهود لتغطية انحيازهم لشخصيتهم الخاصة ، واعترف القساوسة المسيحيين أحيانا بفساد هذا الاعتقاد بوصفه وحشية وعنف.)[٢]

وبانقسام الأمة اليهودية مع موت سليمان إلى حزبين : يهوذا واسرائيل انقسم الملــوك وقاموا بحروب كل ضد الآخر. وفي كتابى " أخبار الأيام : الأول والثاني" تكــرار للجرائم عينها ولكن في تاريخ غير متصل حيث اغفل المؤلف حكم بعض الملــوك ... وبعض الموضوعات غير المألوفة المتعلقة بتاريخ واحد لكونها حدثت أثناء حكم هذا الملك أو ذاك من ملوكهم فهي موجودة بالاشارة إلى حكم الملك عينه وليست موجودة في تاريخ الملك الآخر ويقدم توماس بين أمثلة عديدة على ذلك منها مــا جــاء فــي كتاب الملوك الأول عن التنافس بين الملك REHOBOAM والملك JEROBOAM بعــد مــوت سليمان ففي الملوك الأول التقرير المعطي عن الملك JEROBOAM والــبخور المحروق والإنسان الذي كان يسمى رجل الله الذي نادى في المذبح وقال :(١٣ : ٢) " يا مذبح يا مذبح هكذا قال الرب يولد في بيت داود ولــد أســمه يوشيا JOSIAH ، ويذبح عليك كهنة الأماكن المرتفعة حارقي البخور

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.138.

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.139.

علـــيك، وعظام البشر تحرق عليك. فلما سمع الملك JEROBOAM كلام رجل الله صرخ ضده في بيت Bethel، ومد يده تجاه المذبح وقال امسكوه ويده التي أشار بها ضـــده تجمدت ولم يستطع أن يردها إليه." ولو كانت مثل هذه الحكاية غير المألوفة حدثـــت لواحـــد من الملوك اليهود منذ لحظة انفصالهم إلى امتين لكانت سجلت في تـــاريخ كـــل حزب منهما.ولذلك فإن مؤلف كتابي الأخبارلم يختار أن يكون متهما بـــالكذب أو علـــى الأقـــل بالقصص الخيالية لذلك لم يذكر شيئا عن هذه القصة أو غيرها كقصة الأقرع والدبتان المذكورة في كتاب الملوك الثاني.)[1]

وإلى جانب الصمت عن القصص الخيالية يوجد صمت مماثل عن ألئك البشر نموذج الأنبياء الذي تملئ كتاباتهم الجزء الأخير من التوراة .

وكـــتاب عزرا دليل قوى علىَ عدم الاتساق وانعدام النظام في الكلمة المدعية أنهـــا كلمة الله . وليس ثمة يقين لدينا من هو مؤلف كتب التوراة. وعلينا أن نبحث في الأسفار الثلاثة الأولى من عذرا والسفرين الأخيرين من كتاب الأخبار الثاني ، لنرى أن الأسفار الثلاثة الأولي في عذرا هي نوع من القص والصق ، وكانوا يجب أن يكونوا السفرين الأخيرين في الأخبار ، أو أن السفرين الأخيرين في الأخبار كانا يجـــب أن يكونـــا الـــثلاثة الأولي في عذرا .)[2] فالسفر الأخير من الأخبار مفكك

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.141-142.

٢- جـــاء فـــي الســـفرين الأخيرين من كتاب الأخبار الثاني سفر (٢٢) الآن في السنة الأولي لكـــورش ملـــك فارس لأجل تحقيق كلام الرب تكلم بفم أرميا ، نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء في كل مملكته وكذلك بالكتابة قائلا . (٢٣) هكذا قال كورش ملك فارس إن الرب إله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض ، وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا ، ومن كان هناك من بين كل شعبه الرب إلهه معه يدعه يصعد."

والأســـفار الـــثلاثة الأولي من عزرا تقول " (١) الآن في السنة الأولي لكورش ملك فارس عند تمـــام كـــلام الـــرب بفم أرميا نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضا قائلا. (٢) هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض أعطاها لي الرب إله السماء وأوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا .(٣) من منكم من كل شعبه

مقتضب ينتهي في وسط العبارة بكلمة " up " دون أن يشير إلى ما هو المكان. هذا الـتفكك مظهر الأسفار عينها في الكتب المختلفة مما يدل على عدم النظام والجهل اللذيـن فيهما وضعت التوراة وصنفت بلا سند لا نعرف من الذي وضعه ولا من صنفه . وليس هذا شأن كتاب عزرا فقط بل كل كتب التوراة تحتوى فقرات مهلهلة لا معـنى لهـا بـدون تفكير أدخلها مؤلفو كتب التوراة فيها والأمثلة كثيرة . في صموئيل الأول فصل (١٣: ١) " كان شاول ابن سنة في ملكه ، وملك سنتين على إسرائيل ، واختار شاول لنفسه ثلاثة آلاف من إسرائيل ..." فالجزء الأول من السفر القـائل " كـان شاول ابن سنة في ملكه " ليس له معنى طالما لم يقل أي شيء عما حـدث في تلك السنة الواحدة أو في نهايتها، ويكون مجرد سخف أن يقال أنه حكم سـنة واحـدة طالما وأن الجملة التالية لها أنه حكم مدة سنتين ... ومثال آخر من يوشع فصل (٥ : ١٣، ١٤) حيث يخبرنا المؤلف بقصة الملاك الذي ظهر ليوشع قائلا " حدث عندما كان يوشع عند أريحا Jericho أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده .فسار يوشع إليه وقال له هل لنا أنت أو لأعدائنا . فقـال كـلا أنا رئيس جند الرب. الآن أتيت. فسقط يوشع على وجهه إلى الأرض وسـجد وقال له بماذا يكلم سيدي عبده.فقال رئيس جند الرب ليوشع اخلع نعلك من رجلـك لأن المكان الذي أنت واقف عليه مقدس ففعل يوشع." وانتهت القصة وهي كما تبدو إما منقطعة من الوسط أو أن تكون حكيت عن بعض المازحين يسخر من ادعـاء يوشـع بعـثه من عند الله. ومصنفي التوراة لم يدركوا تخطيط القصة أو تصميمها. وحكوها وكأنها موضوع خطير.)[1]

وإلـى جانـب عدم الاتساق وتفكك الأسلوب لا يقين في التوراة. ففي الفصل الثانـي مـن عزرا يضع المؤلف قائمة بعدد أفراد القبائل والأسر التي عادت من

ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل هو الإله الذي في أورشليم. "

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P. 147.

الأسر البابلي. فيقول في (٢ : ٣،٤) " بنو فرعوش ألفان ومائة واثنتان وسبعون . وبنو شفطيا ثلاثة مائة واثنتان وسبعون" . وبهذه الطريقة عرض لكل الأسر ثم في السفر (٦٤) وجمع المجموع الكلي وقال " كل الجماعة معا اثنتان وأربعون ألفا وثلاثة مائة وثلاثة." ولكن توماس بين يرى أن يبحث جمع الأفراد يجد أن الجملة أو المجموع ليس إلا تسعة وعشرون الفا وثمان مائة وثمانية عشر فردا... فأي يقين يمكن أن يكون في التوراة عن أي شيء.) [1] وينعدم اليقين في عذرا كما ينعدم في كتاب نحميا Nehemiah).[2]

وكتاب أرميا منسوب إليه وهو ليس مؤلفه . فالأجزاء التاريخية في هذا الكتاب إذا كان يمكن تسميتهم بهذا الاسم في حالة مشوشة جدا ، تكررت نفس الأحداث في أوقات متعددة وبطرق مختلفة في تقارير يتناقض كل منها مع الآخر، ومثال ذلك يبدو في تقرير الفصل (٣٧) جيش نبوخذاصر Nebuchadnezzar الذي يسمى جيش الكلدانيين الذي حاصر أورشليم ولما سمعوا أن جيش فرعون مصر تحرك ضدهم رفعوا الحصار وتراجعوا لوقت. ومن أجل أن نفهم هذا التاريخ المختلط نذكر أن نبوخذاصر حاصر أورشليم وأستولي عليها أثناء حكم Jehoiakim وهو جد صدقيا Zedekiah ، وأن نبوخذاصر هو الذي جعل صدقيا ملكا أو حاكما . والحصار الثاني الذي يذكره كتاب أرمياء نتيجة لتمرد صدقيا ضد نبوخذاصر وهذا يبرر الشك الذي الصق بارمياء واعتباره خائنا لصالح نبوخذاصر الذي أسماه أرمياء في الفصل (٤٣: ١٠)" خادم الله."

في الفصل (٣٧ :١١) " عندما أتي جيش الكلدانيين ومر مبتعدا عن أورشليم بسبب الخوف من جيش فرعون فإن ارمياء خرج من أورشليم وذهب كما جاء في التقرير إلى أرض بنيامين لينساب هناك وسط الشعب، وفيما هو في باب بنيامين كان هناك ناظر الحرس أسمه يرئيا Irijah قبض على أرمياء النبي قائلا انك منشقا

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.149.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P. 149-150.

عـن الكلدانيين.فأجاب ارمياء ليس صحيحا أنا لست منشقا عن الكلدانيين"). [١]
وبقـي ارمياء واقفا للفحص والسجن لكونه هاربا والشك فيه لكونه خائنا. ولكن في الفصل (٣٨) يعطي تعليلا لسجن أرمياء ليس لـه علاقة بالتقرير السـابق ويعزو حبسه لسـبب آخر هو نبوءته في المدينة تجعله متهما أمام صـدقيا . ففي الفصل (٢١ :٩،٨) أرسـل صـدقيا فشحور Pashur وآخرين ليبحثوا مع ارميا ما يخص نبوخذاصـر الـذي كان جيشه أمام أورشليم في ذلك الوقت فقال ارميا " هكذا قال الـرب هانئذ أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت. الذي يقيم في هذه المدينة يمـوت بالسـيف والجـوع والوبـاء؛ والـذي يخرج ويسقط إلى الكلدانيين الذين يحاصـرونكم يحـيا وتصير نفسه له غنيمة."...وفي بداية الفصل (٣٨) يأتي ذكر أسـماء أشخاص كثيرين سمعوا الكلام الذي يكلم به أرمياء كل الشعب قائلا " هكذا قال الرب الذي يقيم في المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء، أما الذي يخرج إلى الكلدانيـن تكون له نفسه غنيمة فيحيا . " فذهب المجتمعون إلى صدقيا وقالوا له " نتوسـل إلـيك قـتل هذا الرجل لأنه بذلك يضعف أيادي رجال الحرب الباقين في المديـنة وأيـادي كل الشعب إذ يكلمهم بمثل هذا الكلام. لأن هذا الرجل لا يطلب الرخاء أو السلام لهذا الشعب بل الشر والأذى . "و أيضا في الفصل (٣٨ :٦) قيل " خـذوا أرمياء واحبسوه في سجن مظلم." هذان التقريران متناقضان الأول يصف سجن أرمياء لمحاولته الهروب من المدينة. والثاني يجعل من نبوئته سببا لسجنه في الـتقرير الأول يمسـك به الحارس في البوابة وفي التقرير الثاني يكون متهما أمام صدقيا بواسطة المجتمعين الذين استمعوا إلى نبؤته).[٢]

تناقض التوراة مع العدالة الأخلاقية

في الدليل الأخلاقي على أن التوراة لا تستحق أن تصدق بوصفها كلمة الله . وأن الـتوراة ضد العدالة الأخلاقية. يقول توماس بين يجب أن يكون مفهوما سواء وجد سند للاعتقاد في التوراة أو لم يوجد أن في هذا الكتاب توجد موضوعات قيل

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.168-169.

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.170-171.

أنــه تم فعلها بناء على الأمر الإلهي الصادر بها. وهذه الموضوعات تشكل صدمة للإنســانية.وتــناقض أي فكرة عن العدالة الأخلاقية هي كأي شيء فعله روبسبير وكاريــير وجوسيف لوبون في فرنسا . وكأي شيء فعلته الحكومة الإنجليزية في الهــند الشــرقية.وكأي شيء فعله سفاح أو قاتل في العصر الحديث..وعندما نقرأ التوراة نجد مثلا موسى ويوشع جعلوا كل الأمم في حالة حرب، دمروا البشر تماما النســاء والأطفــال ولم يتركوا روحا واحدة حية تتنفس . عبارات وحشية كرروها كثــيرا فــي الــتوراة وادعو أن خالق الإنسان أوصاهم بعمل هذه الأشياء . ولكن المدافعيــن عــن التوراة يدعون أنهم على يقين من صدق هذه الكتب . وإنها كتبت بالسلطة الإلهية . ويقول توماس بين ليس قدم الرواية دليل صدقها بل قد يكون دليلا علــى أنها رواية خيالية خرافية ... تخبرنا التوراة أن هؤلاء القتلة فعلوا هذا أو أن القــتل تــم بــناء على أمر صادر عن الله. فإذا اعتقدنا في أن التوراة صحيح فيما أوصي به فإننا لا يجب علينا أن نعتقد في العدالة الأخلاقية لله "[1] .

الأمــر بالشر لا يكون كلمة الله. ومن صفات موسى التي ظهرت في التوراة هــو أنه أفظع إرهابي وشرير لا وجود لمثله في أي حقبة من تاريخ العالم..أول ما بــدأ بــه شن الحروب لأهداف وادعاءات دينية.وتحت القناع الديني أقترف أعظم الأثــام والشرور ، التي لا مثيل لها في تاريخ أي أمة . وأعرض مثال واحد فقط، عــندما عاد جيش اليهود من واحدة من عمليات القتل والسلب والنهب جاء التبرير فــي كــتاب العدد كالآتي فصل (٣١: ١٣) " خرج موسى والعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم . إلى خارج المحلة ويسوي موسى سخط موظفي الجيش بالقــادة علــى الآلاف والقادة على المئات القادمين من المعركة . وقال لهم موسى أبقيــت كل أنثى حية . متمسكا بأن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب الخــيانة أو اقــتراف التعدي ضد الرب في أمر فغور Peor فكان الوباء في جماعة الــرب.لذلــك اقتلوا ألان كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة. ولكــن أبقــوا علــى كل أطفال من النساء التي لم يعرفن رجل بمضاجعته أبقوهن

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part. II,P.100-101.

لأنفســكم حيات . إذا كان التفسير صحيحا فهو يأمر بذبح الذكور وذبح الأمهات ، وإفساد البنات.

ولــنجعل أي أم تضع نفسها في نفس الموقف مع أولئك الأمهات، طفل واحد يذبح ، والآخر يغتصب، والأم نفسها في قبضة الجلاد . منفذ حكم الإعدام . ولتضع إي بنــت نفســها في موقف أولئك البنات . تغتصب بوصفها فريسة أو غنيمة لمن قتلوا الأم والأخ الأب . ماذا يكون شعورها ؟ أو تكون مشاعرها ؟ إنه من السخف أن نحــاول أن نخدع الطبيعة أو نفرض عليها شيئا ، فالدين الذي يعذب ويمزق كل الروابط الاجتماعية هو دين زائف .

هــذا النظام البغيض متبوعا بأخذ الغنائم وطريقة تقسيمها وهنا يكون الدنس وانتهاك الحرمات ويزداد النفاق الكهنوتي والجرائم.حيث جاء في السفر (٣٧–٤٠) " التحــية أو الــزكوة للرب من الغنم ستمائة وخمس وسبعون . والبقر كانت ستة وثلاثيــن ألفــا، وزكاتها للرب أثنين وسبعين . والحمير كانت ثلاثين ألفا وزكاتها للــرب واحــد وســتين.ونفوس الناس أو الأشخاص ستين ألفا وزكاتها للرب أثنين وثلاثيــن شخصا أو نفسا." وباختصار فالموضوعات المتضمنة في هذا الفصل كما هو الشأن في أجزاء أخرى كثيرة من التوراة هي مرعبة جدا للإنسانية في قراءتها أو حــتى بالنســبة للذوق العام أو آداب المستمع . ويبدو من السفر (٣٥) في هذا الفصل أن عدد أمهات الأطفال الذين خصصوا للفسق والفجور بواسطة نظام موسى كان عددهم اثنان وثلاثون ألفا . والبشر بشكل عام لا يعرفون ما هو الشر الموجود في التوراة ، ويعتبرون التوراة حق وخير ولا يسمحون لأنفسهم بالشك فيه .. وهو كــتاب شر وكذب وتجديف . وهل يمكن أن يكون هناك تجديف أكثر من أن ننسب شر الإنسان لأوامر من القدير ؟[1]

مــن التــناقض أن تكــون كلمة الله معاني خيالية وخرافية . توضح المعاني الخيالــية والخرافــية الموجــودة في " التثنية " أن موسى لا يمكن أن يكون مؤلف

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part. II, ,P.120-121.

الكـــتاب . وهـــي معاني خيالية خرافية انتشرت في ذاك الزمان عن العمالقة . ففي الفصل الثالث من التثنية من بين الغزوات التي قيل أن موسى هو الذي قام بها كما جـــاء فـــي تقريـــر الإمساك بملك باشان " أن عوج ملك باشان بقي وحده مع بقية العمالقـــة ، سريره سرير من حديد، أليس هو من ربة بني عموم Ammom ؟ لذلك طوله تسع أزرع وعرضه أربعة أزرع بذراع رجل "[1].

وفي يوشع في الفصل (١٠ :١٤) " بعد أن أعطي تقريرا بأن الشمس ظلت واقفة على جبل Gibeon والقمر في وادى Ajalon .. ولم يوجد مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده أنصت فيه الرب لصوت الإنسان." هذه القصة أن الشمس ظلت واقفة على جـــبل Gibeon والقمـــر فـــي وادى Ajalon هي واحدة من الخرافات أو القصص الخيالية التي تكشف ذاتها. ومثل هذه الحالة لا يمكن أن تكون حدثت دون أن تكون معروفة لكل العالم "[2].

رابعا : الترجمة من اللغات الأخرى إلى العبرية

كتاب أيوب لا ينتمي للتوراة ، ولا يحمل دليلا داخليا على أنه كتاب عبري ، فعـــبقرية التألـــيف والدراما في هذا الكتاب ليست عبرية، بل أنها مترجمة عن لغة أخـــري إلى العبرية . فمؤلف الكتاب هو غالبا من الوثنيين Gentiles . فالشخصية المتمثلة تحت اسم الشيطان (والتي تذكر لأول مرة في التوراة) لا توافق أو تطابق أي فكرة عبرية .. ومن الملاحظ علي كتاب أيوب أنه إنتاج لعقل خصب في العلم ، ولكـــن ذلـــك العقـــل اليهود أبعد عن أن يكونوا مشهورين به إنهم يجهلونه تماما . فالإشـــارة إلى موضوعات الفلسفة الطبيعية صريحة قوية تجعل الكتاب مختلفا عن الكتـــب المعروف أنها عبرية. فالأسماء الفلكية مثل : Pleiades , Orion , Arcturus هي أسماء يونانية وليس أسماء عبرية. ولا يبدو من أي شيء موجود في التوراة أن الـــيهود يعـــرفون أي شيء عن علم الفلك ، أو أنهم درسوه ولا توجد لديهم ترجمة

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part. II,P.123.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part. II,P.126.

لـتلك الأسـماء في لغتهم الخاصة . ولكنهم أخذوا الأسماء باعتبارها موجودة في الشعر .)[١]

وما أوضحه توماس بين عن كتاب أيوب يراه أيضا في كتب الأمثال وكتاب يونان أو يونس فهي ليست كتب عبرية بشكل أصلي، وإنما هي كتب مترجمة عن كتـب الوثنيين Gentiles. فاليهود ترجموا منتجات الأدب عن الأمم المتحضرة إلى اللغـة العـبرية وخلطوهـا بآدابهم الخاصة، وهذا موضوع مؤكد لا شك فيه حيث الفصل (٣١) من كتاب الأمثال Proverbs هو دليل واضح على هذا. ففي" (٣١: ١) كلمات لموئيل Lemuel النبي الذي علمته أمه " هذا السفر يقوم كمدخل للأمثال التي تتـبع وهـي ليسـت أمثال لسليمان ، ولكن للموئيل ، وهو ليس واحدا من ملوك إسـرائيل ولا من ملوك يهوذا ولكنه من الوثنيين Gentiles ، ورغم أن اليهود تبنوا أمثاله إلا أن اليهود لم يستطيعوا أن يعطوا أي تقرير عن مؤلف الكتاب ولا كيف أن الكـتاب في سمته يختلف عن الكتابات العبرية. ولا عن كيف وصل الكتاب إليهم. فهـو كتاب غير مرتبط كلية بأي كتاب آخر أو حتى فصل آخر في التوراة قبله أو بعده. وفيه دليل واضح على كونه في الأصل كتابا للوثنيين .Gentiles .وقد علمتنا الـتقريرات الـيهودية أن ندعوهم وثنيين heathens ولكننا على العكس نعرف أنهم كـانوا بشـرا عادليـن أخلاقيين ليس مدمنين الشراسة والانتقام مثل اليهود.وتبدو عـاداتهم الإيمانية تشخيص كل من الفضيلة والرذيلة بالتماثيل والصور. ولا يلزم عن هذا أنهم يعبدونهم أكثر مما نفعل نحن اليوم بالنحت والتلوين.)[٢]

وفي الفصل (٣٠) من الأمثال يقدم مباشرة أمثال لومئيل التي هي ملموسة في الصـلاة المعـروفة باسـم صلاة آجور Agur والتي تملك الكثير من مظهر كونها مأخوذة عن الوثنيين Gentiles واسم آجور Agur لا يوجد في مكان آخر أو مناسبة

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P152.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P153-155.

أخـــري أكثر من هذا، فالصلاة المنسوبة إليه الطريقة عينها وبشكل تقريبي الكلمات عينها.والسفر الأول من الفصل (٣٠) يقول " كلمات آجور ابن Jakeh حتى النبي " وكلمـــة النبي هنا غير مرتبطة بأي شيء عن النبوة.وصلاة آجور أو ابتهالاته في الفصـــل (٨ : ٩)" أبعدنـــي عن الوهم والكذب ، لا تجعلنى فقيرا ولا ثريا غذني بغـذاء نافع مناسب لي خشية أن أمتلئ وانكرك واقول من هو الرب. أو خشية أن أكون فقيرا وأسرق فانطق اسم الله بلا جدوى "وهذه الصلاة أو الابتهالات ليس بها أي علامة على كونها صلاة يهودية لأن اليهود لم يصلوا اطلاقا إلا عندما يكونون في مشكلة فيصلون من أجل النصر أو الثراء أو الانتقام.)[١]

وبعض الأمثال المنسوبة إلى سليمان Solomon لم تظهر حتى مائتي وخمسين سنة بعد موت سليمان. لذلك يقال في الفصل (٢٥ : ١)" هذه أيضا أمثال سليمان التـــي نقلهـــا رجال حزقيا Hezekiah ملك يهوذا Judah " مائتان وخمسون سنة من عصـــر سليمان إلى عصر حزقيا . وعندما يكون الإنسان مشهورا واسمه معروفا يصـــبح أبا لأشياء هو لم يقلها أبدا أو يفعلها. وهذا هو الاحتمال الأعظم مع سليمان حيث كانت الموضة هي صناعة الأمثال.)[٢]

أما عن كتاب المزامير Psalms مثل كتاب الأمثال هو تجميع عن مؤلفين من أمم أخرى غير الأمة اليهودية . وكتاب المزامير من الخطأ أن نسميه مزامير داود، إنهـــا تجميع ككتب الأغاني الآن ، تضم أغاني مختلفة لمؤلفين مختلفين عاشوا في فترات زمنية مختلفة. والمزمور رقم (١٣٧) لا يمكن أن يكون كتب حتى أكثر من اربعمائة سنة بعد عصر داود. إنه كتب في أحياء ذكري حدث الأسر البابلي لليهود. وهـــو لـــم يحدث حتى تلك المدة من الزمن أي حتى أربعمائة سنة بعد عصر داود يقول المزمور (١٣٧)" إلى جانب أنهار بابل جلسنا ، وبكينا عندما تذكرنا صهيون،

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.154.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.156.

وعلـــى الصفصاف في وسطها علقنا قيثارتنا، لأن هناك سألنا الذين سبونا أن نغني فقـــالوا غـــنوا لنا أغنية من أغنيات صهيون." وكأي بشر ربما نقول للأمريكان أو للفرنســـيين أو للإنجلـــيزي غنوا لنا واحدة من الأغنيات الفرنسية أو الأمريكية أو الانجلـــيزية.فمزمور (١٣٧) يعطينا الدليل على الزمن الذي كتب فيه هذا المزمور أربعمائـــة ســـنة بعد عصر داود، وخلاف ذلك محال لأنه من المستحيل أن يمشي إنسان في موكب جنازته الخاصة.)[1]

وكـــتاب الجامعـــة المنسوب لسليمان لأسباب كثيرة ليس حقيقيا ، أنه مكتوب بوصـــفه تـــأملات لفاسق مهتر مثلما كان سليمان مازحا متفاخرا فاسقا ، سبعمائة زوجة وثلاثمائة محظية ، ورغم مظهر الرفعة والمتعة فإنه يخدع كل عاطفة بتركها بلا نقطة تثبت عليها . فالحب المقسم ليست سعادة .هكذا كان وضع سليمان وهو لم يســـتطع بكـــل ادعاء الحكمة وما تستوجبه من القسوة وإماتة النفس وقمع الشهوات لذلـــك لـــم يكن وعظه ضروريا. ومعرفة النتيجة لازمة من معرفة السبب سبعمائة زوجـــة وثلاثمائة محظية يقفون مكان الكتاب كله فلا حاجة بعد ذلك للقول " أن كل شـــيء كان خيالا وإزعاجا للروح لأنه من المستحيل أن نستمد السعادة من صحبة المحرومين من السعادة.. ونشيد الإنشاد لسليمان عشق وحمق وخيالية ويسمى كلمة إلهـــية . ووضع مصنفو التوراة نشيد الإنشاد بعد كتاب الجامعة،وثبتوه تاريخيا عند حقبة ١٠١٤ سنة قبل المسيح ،ووفقا للتاريخ عينه كان سليمان في عمر تسعة عشرة عامـــا عندما أقام سرايته السلطانية لزوجاته ومحظياته . ومصنفو التوراة وعلماء الـــتاريخ كـــان علـــيهم تدبر الأمر بشكل أفضل أو لا يذكرون شيئا عن الزمن أو يختارون زمنا يتسق مع الألوهية المفترضة لنشيد الإنشاد لأن سلمان في ذلك الوقت كـــان في شهر العسل مع ألف من الزوجات والمحظيات debaucheries .. فإذا كان

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.156.

هــو الــذي كتــب كتاب الجامعة بوقت طويل بعد نشيد الإنشاد والتي فيها يصيح صارخا " أن الكل خيال وإزعاج للروح " فهو أدخل نشيد الإنشاد في هذا الوصف. ففــي الجامعة فصل (٢ : ٨)" اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات ". والاحتمال الأقوى ليغنــوا هذه الأغاني ، كما يصــف الآلات الموسيقية ويتأمل أعمــاله في الجامعة (٢ :١١) الكــل بــاطل وقبض الريح، ومع ذلك مصنفو التوراة أعطونا الاغنيات وكان يجب عليهم أن يعطونا الأنغام التي نغنيها.)[١]

والكتاب المنسوب إلى اشعياء يتسم بالفوضى وعدم النظام بلا بداية وبلا نهاية فــيما عــدا والمختصــرات التاريخية في الفصول الثلاثة الأولي. فهو كتاب مفكك مملوء باللغو والمجاز والإفراط في الاستعارة والإطناب ، كتاب خالي من المعني. والجــزء التاريخــي الذى يبدأ من الفصل (٣٦) ويستمر حتى نهاية (٣٩) متعلق ببعض الموضوعات التي حدثت أثناء حكم حزقيال Hezekial ملك يهوذا في الوقت الذ ي عاش فيه اشعياء . هذا الجزء من التاريخ يبدأ وينتهي لا ارتباط له بالفصول الســابقة ولا الفصــول التــي تأتي بعده.ومن المحتمل أن اشعياء كتب هذا الجزء التاريخــي بنفسه لأنه كان الفاعل في الظروف والأحوال التي يعالجها.ولكن ماعدا ذلــك الجزء التاريخي لا يوجد أي جزء من أجزاء الكتاب في ترابط مع أي جزء آخــر.وكــتاب اشــعياء شأنه شأن كتابي الأخبار وعزرا خليط من الكتابات شكلها مؤلفون مختلفون وذلك وحده سبب يكفي تدمير صدق أو صحة أي تصنيف ، ودليل علــى أن مصــنفي الــتوراة كانوا يجهلون من هم المؤلفين الحقيقيين لهذه الكتب المصنفة في التوراة.)[٢]

● ● ●

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.159.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.160-161.

الفصل الثالث

العهـــد الجـــديـد

السؤال الذي يثيره توماس بين حول كتب العهد الجديد هو عين السؤال حول كتـــب العهد القديم يسأل عن حقيقة ومصداقية وسند هذه الكتب؟ هل كتبت بواسطة الأشـــخاص المنسوبة إليهم ، أم أنها غفل وموضع للشك ، ودليل دائم ضد نفسها ؟ ولا يمكن اعتبارها كلمة الله الحقيقية .

لذلـــك يـــنقد تومـــاس بين دور الكنيسة في إعلان الكتاب المقدس كلمة الله . ويقول وعلينا أن نعرف من الذي قال أنها كلمة الله ؟ لا نجد إجابة أكثر مما يتردد بيننا بشكل تاريخي أنه عندما أسس علماء الأساطير الكنسية نظامهم الكنسي جمعوا كل الكتابات الموجودة وأداروها كما يرغبون . وهذه الكتابات التي تبدو الآن تحت اســـم العهـــد القديم أو العهد الجديد ،هل هي بالحالة التي وجدوها عليها ، أم أنهم أضـــافوا إلـــيها أو حذفـــوا منها ، أو اختصروها أو نمقوها ؟ وربما يكونوا قرروا بالتصويت أي من هذه الكتب المجمعة هي التي تكون كلمة الله، وأي منها لا يجب أن يكـــون. رفضـــوا العديـــد من الكتب بالفعل ، وصوتوا على أنها مشكوك فيها. وأســـموها مـــنحولة. والكتب التي حازت أغلبية الأصوات صارت هي كلمة الله. والبشر الذين لم يفعلوا هذا ، والذين لم يعرفوا هذا سموا أنفسهم بالاسم العام للكنيسة مســـيحيين . ومن هو ليس على دراية بالتاريخ الكنسي ربما يظن أن العهد الجديد موجـــود مـــن زمن يسوع المسيح ، والعهد القديم من زمن موسى . ولكن الحقيقة خـــلاف ذلك تاريخيا لم يوجد العهد الجديد حتى أكثر من ثلاث مائة سنة تقريبا بعد عصـــــر المسيح . ففي أي زمن ظهرت الأناجيل المنســـوبة لمتي ومرقس ولوقا ويوحنا ؟ هذا أمر غير مؤكد وغير يقيني . وليس هناك دليل خارجي على من هم

الأشخاص الذين كتبوها ، ولا في أي وقت كتبوها.[1] ولا تملك الكنيسة نسخا أصلية أكــثر مــن لوحان من الحجر أدعو أنها كتبت بأصابع الله على جبل سيناء Siniai وليس هناك في هذا الزمن إمكانية لإثبات خط اليد . ولم تكن الطباعة معروفة وقت كتابة هذه الكتب . والنسخ المكتوبة باليد من السهل لأي إنسان أن ينسخها ويغيرها كمــا يريد . ثم يسأل توماس بين هل من الاتساق أن نقيم إيماننا بالله على مثل هذه الكتــب المشكوك فيها . التي بعد أن جمعوها قرروا بالتصويت أي من هذه الكتب المجمعة يجب اعتباره كلمة الله وأي منها لا يجب أن يكون . كما قرر أحبار اليهود بالتصــويت على كتب التوراة من قبل . هذا هو كل ما نعرفه عن الموضوع بشكل تاريخــي . فنحــن لــيس لدينا دليلا خارجيا على أن هذه الكتب كلمة الله أكثر مما ذكــرت على ما تم فعله بواسطة الكنيسة ، وما ذكرته لا يشكل دليلا أو سندا على الإطــلاق . لذلــك فإنننــي أبحث عن دليل داخلي متضمن في هذه الكتب ذاتها ... وســيرى القــارئ الاقتباســات التي تنكر صحة أو مصداقية كتب العهد الجديد ، ولا يبقــي منها إلا قصص خيالية وتزييف في الوقت الذي يصوتون فيه على أنها كلمة الله)[2].

١- وعلى خلاف كل القضايا النقدية التي يثيرها توماس بين حول حقيقة كتب العهد الجديد ومن كتبها يقول الدكتور على عبد الواحد وافي : "إنجيل متي مؤلفه هو الرسول متى أحد الحواريين الإثنى عشر ، هو أقدم الأناجيل جميعا إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى حوالي ٦٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال، وقد ألفه متى باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة ... أما إنجيل مرقص مؤلفه هو القديس مرقص أحد التلاميذ السبعين ،ألفه على أرجح الأقوال حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذه بطرس رئيس الحواريين وبإرشاده ... إنجيل لوقا مؤلفه القديس لوقا ، وهو أحد التابعين وقد ألفه على ارجح الأقوال حوالي سنة ٦٣ أو ٦٥ وألفه باللغة اليونانية لا باللغة اللاتينية... إنجيل يوحنا، ألفه الرسول يوحنا، وهو أحد الحواريين الإثني عشر ، وألفه باللغة اليونانية وكان تأليفه إياه حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال ، فهو لذلك أحدث الأناجيل جميعا. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دكتور على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص٦٨ -٨٨ .)

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON , Part I & II . P. 20-21,220,223.

ويـــرى توماس بين العهد الجديد مقارنة بالعهد القديم رواية هزلية من فصل واحد، لا مكان فيها للانتهاكات والتعديات العديدة الموجودة في العهد القديم. إلا أنه يوجد فيها تناقضات كافية توضح أن قصة يسوع المسيح قصة زائفة خيالية خرافية لها أساسها في الأساطير الوثنية ، ومن ثم كل ما بني عليها كحقيقة افتراضية يجب أن يسقط معها. ولإثبات قضيته يحدد فروض للبحث ويقول : " إذا افتراضا أولا : أن كـــل أجـــزاء القصـــة فـــي توافق فهذا التوافق لم يثبت أن القصة صحيحة لأن الأجـــزاء ربمـــا تتفق والكل يكون زائفا . وثانيا : إذا وجد عدم توافق بين أجزاء القصة فهذا يثبت أو يؤكد أن القصة ككل زائفة بشكل موضوعي)[1].

وفضــــلا عـــن ذلـــك يوضح توماس بين أن : " العهد الجديد تأسس بموجب نـــبوءات العهـــد القديم ومن ثم فإن مصيره تابع لمصير أساسه).[2] فالعهد الجديد كـــالعهد القديم لا يمكن أن يكون كلمة الله . و ذلك هو ما يحاول توماس بين إثباته بالدلـــيل الداخلي أي من داخل نصوص العهد الجديد، وعلى أساس الفحص العقلي الناقد للنصوص المقدسة،كانت الأدلة المستدلة من داخل النصوص هي الآتي .

أولا : حالة التاريخ غير المنظم في كتب العهد الجديد.

ويفحص توماس بين تاريخ يسوع المسيح كما هو متضمن في الكتب الأربعة، التي تحمل أسماء : متي ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا. ويبدأ من (سلسلة نسب يسوع المســـيح) [3] الموجودة في كل من " متي "و" لوقا ". ليثبت من تحليله السلسلة عند

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II P. 195.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 193.

3- Genealogy according to Matthew. Genealogy according to Luke.

Genealogy according to Matthew		Genealogy according to Luke	
Chirst	23 Josephat	Chirst	23 Neri
2 Joseph	24 Asa	2 Joseph	24 Melchi
3 Jacob	25 Abia	3 Heli	25 Addi
4 Matthan	26 Roboam	4 Mattat	26 Cosam
5 Eleazer	27 Solomon	5 Levi	27 Elmodan
6 Eliud	28 David	6 Melchi	28 Er

=

كليهما أنها سلسلة مصطنعة ليست صحيحة . رغم أن السلستين يبدأن من يوسف خطيب مريم وينتهيان بداود فذلك هو وجه التماثل الوحيد بينهما، إلا أن متي ولوقا يناقضان كل منهما الآخر ، تضم سلسلة " متي " ثمانية وعشرون جيلا ، بينما تحتوي سلسلة " لوقا " ثلاثة وأربعون جيلا. ويتناقض مضمون كل سلسلة مع السلسلة الأخرى وهذا يثبت زيفهما معا على نحو مطلق .و حيث لا يوجد لدينا ما يبرر الاعتقاد في كلام واحد منهما أكثر من كلام الآخر فلا يوجد سند للاعتقاد في أي منهما. حيث يناقض كلاهما الآخر في أول شيء يقولان به فهل يمكن أن يكونا موضع تصديق في أي شيء يصدر عنهما فيما بعد. إن الحقيقة من منظور توماس بين شيء متسق منظم إلهام ووحي وحيث نسلم بها يكون من المستحيل افتراض أنها يمكن أن تكون متناقضة . وتأسيسا على هذا يقول: إما أن نسمي

= 7 Achim
8 Sadoc
9 Azor
10 Eliakim
11 Abiud
12 Zorobabel
13 Salathiel
14 Jechonias
15 Josias
16 Amon
17 Manasses
18 Ezekias
19 Achaz
20 Joatham
21 Ozias
22 J oram

7 Janna
8 Joseph
9 Mattathias
10 Amos
11 Naum
12 Esli
13 Nagge
14 Maath
15 Mattathias
16 Semei
17 Joseph
18 Juda
19 Johanna
20 Rhesa
21 Zorobabel
22 Salathiel

29 Jose
30 Eliezer
31 Jorim
32 Matthat
33 Levi
34 Simeon
35 Juda
36 Joseph
37 Jonan
38 Eliakim
39 Melea
40 Menan
41 Mattatha
42 Nathan
43 David

راجع أيضا الاختلاف في نسب يسوع المسيح بين متي ولوقا وهما المنفردان بذكره من بين سائر كتب الأناجيل في كتاب " قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ، العالمية للتوزيع ، ص ٤٤٦ ، ص ٤٤٧.

الحواريين دجالين ، أو أن الكتب المنسوبة إليهم كتبت بواسطة أشخاص آخرين كما هـــو الحال في العهد القديم ... وإذا كانوا لا يستطيعوا أن يتفقوا في سلسلة النسب الطبيعـــية ، فكـــيف نصدق ما يخبرونا به أن يسوع المسيح ابن الله مولود بواسطة الـــروح.وأن المـــلاك قد أخبر مريم بهذا سرا. فلماذا لا نفترض أن نسبه السماوي مصطنع وأن الكل خرافة وخيال ؟ فالقصة مستحيلة بشكل طبيعي).(١)

ثانيا : افتقاد كتب العهد الجديد إلى التماثل ووحدة الموضوع.

حيـــث مـــا يذكـــر فـــي كـــتاب من موضوعات تغيب عن غيره من الكتب الأخرى.سكت الكتاب الأول عن موضوعات موجودة بالكتب الأخرى كقصة الملاك الذي أخبر بما أسمته الكنيســـة حمل بلا دنس هـــذه القصة لم تذكر كثيرا في كتابي "مرقس" و " يوحنا " ، ولكنها موجودة بشكل مختلف في كتابي " متي "و " لوقا ".(٢) أحدهما يقول ظهر الملاك ليوسف خطيبها والآخر يقول ظهر الملاك لمريم. إلا أن يوســـف ومـــريم همـــا أسوأ دليل يمكن التفكير فيه أو الأخذ به . كيف تكون مريم وخطيـــبها يوسف شاهدين علي نفسيهما؟ هل من الممكن تصديق أي بنت الآن إن أقسمت وقالت أنها حملت بواسطة الروح وأن ملاكا أخبرها بهذا؟ بالتأكيد لا يمكن تصـــديقها، ولو صدقناها لماذا لا نعتقد بالشيء عينه مع أي فتاة أخري؟..كم يكون غريبا وغير متسق أن يحدث هذا حتى كقصة في إطار الاحتمال لا يمكن أن تؤخذ كدافـــع للاعتقاد ، فالقصة من ظاهرها تعتبر مستحيلة على الإطلاق بل هي دجل. ومن القصص أيضا التي تؤكد افتقاد كتب العهد إلى التماثل ووحدة الموضوع قصة هيرودس Herod (ملك اليهود عند ميلاد المسيح) الذي كان يقتل كل طفل أقل من

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 196, 198.

٢- (مـــا جاء في الأناجيل عن هذه القصة لا يخالف ما جاء في القرآن ، غاية ما في الأمر أنها تزيد حكاية يوسف النجار وهو أمر مسكوت عنه ...إن اليهود اليوم يختار الرجل لأبنته منهم عشـــيرا يعاشـــرها في بيت ابيها مدة من الزمن فإذا رضيته ورضيها تم الأمر بالزواج ولكل مـــنهما فـــي أثناء المعاشرة قبل الزواج أن يتخلي عن الآخر. (عبد الوهاب النجار قصص الأنبياء ، العالمية للتوزيع، ص٤٥٦.)

عامين في العمر. وهذه القصة لم توجد إلا في كتاب " متي " ولم يذكرها أي كتاب آخر من كتب العهد الجديد.[1] فلو كانت هذه القصة صحيحة وهي قصة عامة يعرفها كل كاتب فإنه شيء مثير جدا أن يغفلها أي مؤلف . ويخبرنا كتاب متي أن يسوع تم تهريبه من هذا الجزار لأن الملاك نبه يوسف ومريم أن يذهبا بيسوع إلى مصر ، ولكنه نسي أن يقوم بعمل أي احتياط بالنسبة ليوحنا الذي كان عمره أقل من سنتين . ومع أن يوحنا بقي متأخرا إلا أنه رحل مثل يسوع الذي هرب لذلك فالقصة تكذب نفسها بشكل واضح)[2].

لم يتفق أي اثنين من مؤلفي كتب العهد الجديد في سرد دقيق وكلمات محددة بعينها فما قد كتبوه من أخبار مختصرة تخبر بتوقيت انقضاء صلب المسيح ، فيقول مرقس (١٥ : ٢٥) صلب المسيح في الساعة الثالثة (التاسعة في الصباح) ويقول يوحنا في جملة غير منتهية (١٩ : ١٤) حتى الساعة السادسة (الثانية عشر ظهرا) ومن ثم فالتنفيذ لا يمكن أن يكون حتى بعد الظهر .

ثالثا : التناقض في مضمون الموضوعات في كتب العهد الجديد.

عدم الاتفاق الموجود بين كتب العهد الجديد يدل على أنها كتب من إنتاج أفراد لا يوجد بينهم ارتباط . ولم يعيشوا في محبة وإخلاص كالرجال الذين يسمون بالحواريين وهم لا يمكن أن يكونوا شاهد عيان . وإنما كتبها أشخاص آخرون غير تلك الأسماء التي تحملها . فمثلا التقارير التي تعرض لوقائع ملازمة لصلب المسيح وقيامته هي مختلفة في الكتب الأربعة . يقول الكتاب المنسوب إلى " متي " (٢٧ : ٤٥) " الآن من الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة " . ويقول في (٢٧ : ٥١ ، ٥٢، ٥٣) " وإذا بحجاب الهيكل قد

١- ذهاب يوسف ومريم بالمسيح إلى مصر جاء ذكره أيضا في إنجيل برنابا من . ولكن توماس بين لم يذكر إنجيل برنابا لأن مهمته محددة بنقد الكتب المقدسة الرسمية المعترف بها لدى الكنيسة المسيحية . ولذلك لم يجعل إنجيل برنابا موضوعا للفحص ويركز على الكتب التي تزعم الكنيسة أنها كلمة الله الحقيقية .

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 200.

انشق إلى اثنين من القمة إلى القاع أو من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثيرون من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين . ولكن هذا التقرير الذي يقدمه كتاب متي لا تؤيده الكتب الأخرى . فالكتاب المنسوب إلى مرقس لا يذكر في تفاصيل وقائع الصلب أي زلزال ، ولا أي انشقاق في الصخور ، ولا انفتاح القبور ، ولا قيام الموتي . أما كتاب "لوقا " فهو في صمت تام عن هذه الوقائع . وكتاب " يوحنا " رغم ما يذكره من تفاصيل وقائع الصلب إلى دفن المسيح إلا أنه لا يقول شيئا لا على الظلام ، ولا على انشقاق المعبد ولا على الزلزال ولا على الصخور أو القبور ولا على قيام الموتى . ولو كان صحيحا أن تلك الأشياء حدثت ولو كان مؤلفو الكتب عاصروها لكانوا شاهدوا الزلزال وليس من الممكن أن يكونوا في غيبة عنه . وفتح القبور وقيام الموتى وسيرهم حول المدينة وهو أمر عظيم الأهمية عن الزلزال لأن الزلزال واقعة طبيعية لا تثبت شيئا ولكن انفتاح القبور أمر مجاوز للطبيعة . ولو كان ذلك صحيحا لكان قد امتلئت به كتبهم). (١)

إنه شيء سهل أن تقول كذبا ، ولكن من الصعب أن تدعم الكذب بعد قوله . فكاتب كتاب " متى "عليه أن يخبرنا من هم القديسين الذين عادوا إلى الحياة مرة أخري وذهبوا إلى المدينة ، وماذا حدث لهم بعد ذلك ، ومن هو الذي رآهم . وليس من الصعب عليه أن يقول هو رآهم بنفسه . وهل قاموا عرايا قديس وقديسة أم أنهم كانوا بكامل ثيابهم . وهل ذهبوا إلى مساكنهم الأولى واستردوا زوجاتهم وأزواجهم وملكيتهم . وكيف استلموها هل أقاموا دعوة استرداد ملكيتهم أم أنهم ارتكبوا جريمة ضد الطفوليين . وهل بقوا على الأرض وشغلوا وظائفهم الأولي في الوعظ أم أنهم ماتوا مرة أخرى أو عادوا إلى قبورهم أحياء أو أحرقوا أنفسهم . غريبا حقا أن جيشا من القديسين يعود إلى الحياة ولا أحد يعرف من هم كانوا ، ولا من رآهم ولا كلمة أكثر تقال حول الموضوع! (٢)

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 202.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 204.

فقصـــة القيامة تابعة للصلب وفي هذه وتلك لم يتفق المؤلفون ، وليس واحد مـــنهم شاهد عيان . يذكر متي أنه عندما دفن المسيح وافق اليهود بيلاطس Pilate على حراسة القبر ليمنع تلاميذه من سرقة جسده.وتم ختم الحجر المغطي به فتحت القبر وجلس الحارس ، غير أن الكتب الأخرى لم تذكر شيئا من هذا . وما يذكروه من أخبار تبدو متناقضة . يقول "متي " في تقريره (٢٧ :١) في نهاية يوم السبت فجر اليوم الأول من الأســبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى ليروا القبر . ويقــول " مــرقس " كانت الشمس ساطعة ، ويقول " يوحنا " كان ظلاما ، ومريم المجدلــية أتــت وحدها. ويقول " لوقا " أن مريم المجدلية ومريم أم جمس وامرأة أخرى جئن إلى القبر ... ويخبرنا كتاب متي (٢٧ :٥١) أن زلزالا عظيما حدث لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر وجلس عليه." ووفقا لتقارير الكتب الأخــرى يقــول مرقس " الملاك كان في داخل القبر جالس على الجانب الأيمن" ، ويقول لوقا كان هناك ملاكين كلاهما واقف" ، ويقول يوحنا : كلاهما جالس ، واحد جـــالس عند الرأس والآخر عند القدمين. " ..ويقول متي : إن الملاك كان جالسا على الحجر خارج القبر أخبر مريم المجدلية ومريم الأخرى أن المسيح قام، وذهبت المـــرأتان سريعا. ويقول مرقس إن المرأة لما رأت الحجر يتدحرج بعيدا اندهشت مـــن ذلـــك ودخلت في القبر وكان الملاك جالسا فيه على الجانب الأيمن وأخبرهم بذلك . ويقول يوحنا إن يســوع المسيح نفسه هو الذي أخبر مريم المجـــدلية وهي لم تدخل في القبر ولكنها انحنت ونظرت فيه).[1]

وتأسيســا علـــى هذه التناقضات يقول توماس بين . لو أن مؤلفي هذه الكتب ذهـــبوا الآن إلـــى محكمة العدل لإثبات غياب جسد الميت بوسائل مجاوزة لما هو طبيعي ، وقدموا أدلتهم بالطريقة المتناقضة عينها كما عرضناها فإنهم يكونون في خطر عظيم حيث تقطع آذانهم من أجل الحنث وشهادة الزور. إلا أن ما قدموه من أدلـــة في هذه الكتب التي أقحموها على العالم بوصفها وحيا إلهيا أي بوصفها كلمة الله الثابتة .

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 206-207.

أما عن الجزء الخاص بادعاء ظهور المسيح بعد قيامته نجد أن الدليل المقدم فـــي كـــل كتب العهد الجديد يدمر كل منها الآخر. مؤلف كتاب متي يشير إلى أن المـــلاك الـــذي كـــان جالسا على الحجر في باب القبر قال لمريم المجدلية ومريم الأخـــرى (٢٨ :٧) " اذهـــبا ســـريعا قولا لتلاميذه أنه قد قام من الأموات ها هو يســـبقكم إلى الجليل . هناك ترونه ها أنا قد قلت لكم ." ونفس المؤلف سفر (٨،٩) يجعل المسيح نفسه يتكلم عن الغرض عينه مع هاتين المرأتين بشكل مباشر بعد أن أخـــبرهم الملاك ، وهما قد سارا سريعا ليخبرا تلاميذه . " وفي السفر (١٦) يقول المؤلـــف الأحـــد عشر تلميذا انطلقوا إلى الجليل حيث أمرهم يسوع . وعندما رأوه سجدوا له ".

ولكن يخبرنا مؤلف كتاب يوحنا بقصة مختلفة جدا عن هذه فيقول (٢٠ :١٩) ولمـــا كانت عشية ذلك اليوم وهو أول أيام الأسبوع ، وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم . "

ووفقـــا لكتاب متى الأحد عشر تلميذا ساروا إلى الجليل ليجتمعوا بالمسيح في الجبل وهو من تحديده الخاص في الوقت ، بينما وفقا ليوحنا الاجتماع كان في مكان آخر غير محدد وبشكل سرى خوفا من اليهود .

ومؤلف كتاب لوقا يناقض متى أكثر مما يناقض يوحنا لذلك يقول في (٢٤ : ٣٣) إن الاجـــتماع كـــان في أورشليم عشية يوم أن قام المسيح وأن الأحد عشر تلميذا كانوا هناك . "

وتأسيسا على هذا يرى توماس بين ليس من الممكن أن نسلم بأن أي واحد من تلاميذ المسيح الأحد عشر كمؤلف لكتاب من هذه الكتب . ذلك أنه وفقا لمتي الأحد عشـــر ذهـــبوا للجليل ليجتمعوا بالمسيح في الجبل مكان من تحديده الخاص ، وفي اليوم عينه الذي قال متي أنه قام فيه . ولوقا ويوحنا يجب أن يكونا اثنان من الأحد عشـــر . إلا أن مؤلف لوقا يعبر بوضوح كما يشير مؤلف يوحنا أن الاجتماع كان في اليوم عينه في منزل في أورشليم . ومن ناحية أخرى إذا كان وفقا للوقا ويوحنا

الأحد عشر تلميذا اجتمعوا في منزل في أورشليم فإن متي يجب أن يكون واحدا من الإحــدى عشــر إلا أن متي يقول أن الاجتماع كان في الجبل في الجليل ، ومن ثم فالدليل المقدم في هذه الكتب يدمر كل منها الآخر.[1]

ولا يذكر كتــاب مرقس شــيئا عن اجتماع الجليــل إلا أنه يقول (١٦ :١٢) " وبعــد قيامــته ظهر المسيح بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقان إلى الــبرية ، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا أي منهما . " ويحكي لوقا القصة وفيها يجعل المسيح شاغلا كل اليوم بالقيامة المدعية حتى المساء يذهب كل الأفراد إلى الجبل في الجليل . وهو يقول أن اثنين منهم بدون أن يذكر أي اثنين ذهبوا في اليوم عينه إلى قرية عاموس التي تبعد سبعة أميال ونصف ميل عن أورشليم . وأن المسيح تنكر وذهب إليهم وأقام معهم حتى المساء تعشي معهم واختفي عن بصرهم وعاد للظهور في المساء عينه في اجتماع الأحد عشر في أورشليم .

هــذه هــي الطريقة المتناقضة التي يبدو فيها واضحا الادعاء بإعادة ظهور المســيح . ولم يتفق المؤلفون إلا في نقطة واحدة هي خلوة التخفي لإعادة الظهور. فــي فجوة الجبل في الجليل وفي منزل مغلق في أورشليم . وظل متخفيا ، وسبب هــذا التخفي علينا أن نحدده . فمن جانب إقناع العالم أن المسيح قام ، ومن ناحية أخري إثبات القيامة علي نحو عام . وهو ما دفع بمؤلفي الكتب بضرورة صنع هذا الأمر الخاص .

وبالنســبة للــتقرير عن رؤية وجود المسيح عند أكثر من خمسمائة فرد فإن بولس Paul فقط هو قال بذلك ، ولم يقل أحد من الخمسمائة شيئا عن أنفسهم ، لذلك هــي ليســت إلا شــهادة إنســان واحد هو لم يعتقد في التقرير عينه في كلمة عن الموضــوع نفســه . فــي الوقت الذي يقال أنها حدثت ، ودليله يفترض أنه مؤلف الفصل (١٥) من كورنثوس حيث يعطي تقريره كرجل أتي إلى محكمة العدل ليقول

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 210.

إن مـــا أقسم عليه زائف . والإنسان ربما يري العقل ولديه الحق دائما في أن يغير رأيه ولكن هذه الحرية لم تمتد لموضوعات الحقيقة وأمورها).[١]

أمــا عــن مشهد الصعود إلى السماء يقول توماس بين يجب أن يكون عاما ومرئــيا شـــأنه شأن الشمس في وضح النهار . ولا يكون كالوعود والكلمات التي تقررت في جبل الجليل أو في البيت المغلق في أورشليم . إن مشهد الصعود ينبغي أن يكــون عاما كواقعة الصلب . إلا أن مؤلف كتاب متي لم يذكر (عن الصعود) مقطعا واحدا وكذلك كتاب يوحنا . وليس من الممكن افتراض أن متي ويوحنا تأثرا بالموضـــوعات البســيطة ، وبقيا في صمت حول موضوع الصعود . بينما كتاب مرقس يمر عليها مر الكرام بطريقة غير منظمة وكذلك كتاب لوقا ولا يوجد بينهما أي اتفاق ظاهر بالنسبة للمكان . كتاب مرقس يقول أن المسيح ظهر للإحدى عشر تلميذا وكانوا جالسين إلى الطعام ، مشيرا إلى اجتماع الإحدى عشر في أورشليم ، ووضـــع الحديث الذي تقرر في هذا الاجتماع فيقول " بعد أن تكلم الرب إليهم سعي وصـــعد إلـــى السماء وجلس على يمين الرب . " ولكن مؤلف كتاب لوقا يقول أن الصعود كان من Bethany وأن المسيح قادهم إلى خارج Bethany ورحل عنهم بأن صـــعد إلى السماء ، كذلك أيضا كان Mahomet ، وكذلك بالنسبة لموسي . ويقول الحـــواري Jude سفر (٩) أن ميخائيل والشيطان تنازعا على جسده ، والاعتقاد في مثل هذه القصص الخيالية اعتقاد لا يليق بالقدير).[٢]

● ● ●

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II. P. 212-213.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II P.214.

الباب الثاني

العقل ونقد أديان الوحي

الفصل الأول

نقد النبوة والمعجزات والأسرار

إلـــى جانب التناقض وعدم الاتساق ، الذي لا يمكن تجاوزه ، بين الخلق كلمة الله الحـــق وبيـــن الكتب المطبوعة المسماة كلمة الله ، يرى توماس بين ثمة وسائل ثلاثـــة اســـتخدمت فـــي خداع البشر في كل البلاد وفي كل الأديان ، هي الأسرار والمعجـــزات والنـــبوة . فالأســـرار والمعجزات لا تتوافق والدين الحق ، والنبوة مشـــكوك فـــيها . " يستخدم السر في تضليل العقل . وتستخدم المعجزة في إرباك الحواس وحيرتها . السر رطانة إلهية والمعجزة شعوذة ").[1]

فكل سر ومعجزة ونبوة إنما تخص الدين المزيف لا الدين الحق . هي وسائل انتشرت في العالم لتحريك الناس هنا وهناك من أجل الإتجار بالدين وسيطرة الدجل عليهم ، و الدجل والإتجار بالدين كلاهما يدفع بالآخر ويشجعه).[2]

أولا : النبـوة .

نقد النبوة والأنبياء هو نقد لأديان الوحي ، ولكنه ليس إلحادا لأن توماس بين يســـلم بأن الخلق هو الوحي الإلهي الحقيقي ، وحي لكل البشر ندركه بكل حواسنا وجوارحـــنا ، لغته لغة عالمية يفهمها كل فرد . ذلك هو التأليه الطبيعي ، أو الدين الكونـــي . وعلـــى هذا ليس النبوة هي السبيل الوحيد للإيمان بالله . وليس كل ناقد للنـــبوة منكرا لوجود الله . وليس الأمر كما يرى صاحب كتاب " تاريخ الإلحاد في

1- THOMAS PAINE, , AGE OF REASON, Part I, P.82.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P. 90

الإسلام "عندما يقول " أن المعني الخفي المتستر وراء إنكار النبوة يتعدى إلى إنكار الألوهية نفسها" [١].

وربمـــا يكون عبد الرحمن بدوي محقا في رأيه لكون المجتمع العربي معاديا للفلسفة ، ومن ثم غير متقبل للإيمان الفلسفي المؤسس على العقل أو الشعور القلبي أو الأخلاق . وفيه لا يأخذ العقل بالنقل والرواية والتواتر ، ولا مجال فيه للنبوة أو المعجـــزات والأسرار . ولا يتحرج العقل في نقد كل هذه القضايا ، وكشف جوانب التـــناقض فيها على أساس اعتبارات كثيرة في مقدمتها الاعتبارات العقلية . فضلا عن واقع النبوة في التوراة والعهد .

وفي نقد النبوة عند توماس بين باعتبارها وسيلة من وسائل أديان الوحي هو لا يركــز على صلة النبي بالله كمصدر الوحي ،وموضوع للفلسفة الإلهية كما يفعل سبينوزا في "رسالة اللاهوت والسياسة " . ولكن نقده للنبوة متضمن في نقده للكتب المقدســـة أو الوحي المكتوب وهو مجال للشك أكثر من التصديق . ومثار الشك أن الوحـــي محدد بالشخص الأول فقط وحيثما ينقل إلى الشخص الثاني والثالث مكتوبا أو مـــرويا لـــم يعد وحيا وإنما نقل في لغة إنسانية محلية خاضعة للتغير والتطور وقابلـــة للتـــبديل والـــتحريف. فهو لا ينقد النبوة كنظرية في الاتصال بل باعتبار ما يصدر عنها هو في الواقع نقل ورواية تضمه الكتب المقدسة وليس وحيا فالوحي ليس إلا للشخص الأول .

ولذلـــك يـــبدأ نقده للنبوة من بيان معني النبوة في التوراة ليوضح أن معـــني كلمـــة النبوة كما جاء في التوراة معني متغير ، ولا يتسق مع المعني الحديث للنبوة بمعنـــي التنـــبوء ، الـــذى أخـــذت به الكنيسة وهذا وحده كاف لنقد النبوة . فيقول (تســتغرق الأسرار والمعجزات الماضي والحاضر وتتناول النبوة المستقبل وهي تدور حول أفعال الإيمان . فلا يكفي في النبوة أن نعرف ما حدث بل ما سيحدث .

١- عبد الرحمن بدوى ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، سينا للنشر ، ١٩٩٣، ص ٨.

فالنـــبوة فـــرض تاريخي للزمن المستقبلي . والنبوة بهذا المعني اختراع حديث . فالمعني الأصلي لكلمة النبوة قد تغير . في الماضي ارتبط معني النبوة بالشعر وهو ما نجده عند اليهود).[1] ففي كتب التوراة لم نجد أي كلمة تصف لنا ما يسمي شاعر ولا مـــا يسمي شعر إلا كلمة نبي ونبوة . وفي الفترة المتأخرة .. كانت النبوة هي الكلمـــة التوراتية معناها الشاعر، وكانت النبوءة هي فن صناعة الشعر). [2] لذلك فـــإن كتـــب التوراة المعروفة بأسماء الأنبياء هي أعمال للشعراء اليهود المبشرين المتنقليـــن والمتجولين ، والذين خلطوا الشعر بالحكاية ، و القصة والتعبد والعبادة معـــا ... فكلمـــة نبي كلمة توراتية تعني كلمة شاعر ، وبكل ما يحمله الشعر من تخـــيلات واســـتعارات شـــيد شـــعراء اليهود ما يسمي نبوءات prophecies موافقة لأغراضـــهم . ولكنها أصبحت الآن غامضة لأننا لم نعزف الظروف المحلية التي جاءت وفقا لها . وعندما اقتبسها الكهنة عدلوها وفقا لأغراضهم الخاصة . وفرضوا تفســـيرهم لها علي البشر بوصفه المعني الذي هو أقره صاحب النبوءة).[3] ويري تومـــاس بين أنه لا توجد كلمة في التوراة باستثناء كلمة نبي تعني كلمة شاعر، وجاءت أيضا كلمة نبي بمعني موسيقي أي بمعني عازف على الآلات الموسيقية . فصحبة من الأنبياء تقدم نبوءات بالات الطرب كالدفوف والمزامير والقيثارة . وقد تنـــبأ شـــاول وهو مجتمع بصحبة من الأنبياء ولكنه تنبأ بشيء ســـيئ . لذلك يقال أن " روح الشر من الله أتت بموجب شاول ". واتفق الشارحون والمفسرون للتوراة علـــى أن الشر من روح الله أتت بموجب شاول . وهكذا فقد المعني الأصلي للنبوة وتأســـس معني آخر مكانه . ويستعمل بطريقة بعيدة عن كل معني ديني ، ويصبح

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P. 89 .

(يقـــول سبينوزا في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة " يسمي العبرانيون النبي " نبيا " أي خطيبا أومفسرا ويستعمل في الكتاب بمعني مفسر الله أو مفسر ما يوحي الله به . كما هو واضح مـــن الإصـــحاح (٧) والآيـــة (١) مـــن كتاب الخروج . ترجمة الدكتور حسن حنفى ، الأنجلو المصرية ط٣ ، ص١٢٣.)

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.25.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P.192.

على الإنسان إن كان نبيا ينبغي أن يتنبأ . وكلمة النبوة أو التنبؤ تنطبق على الشعر وعلـــى الموسيقى ، وليس لها موضوع محدد بموجبه يمارس الشعر أو الموسيقي . وديـــبورا Deborah وبـــارك Barak ســـميا أنبياء ليس لأنهم تنبئا ولكن لأنهما ألفا قصيدة وأغنية تحمل اسميهما في احتفال تم بالفعل . وصنف داود بين الأنبياء لأنه موســـيقي ومشهور أيضا . أنه مبدع المزامير . ولكن إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يســـموا أنبياء ولا يبدو من أي تقرير لدينا أن منهم من يغني أو يلعب موسيقى أو يصـــنع شعرا ... **فالنبوة كما جاءت في التوراة لا تتسق مع معناها الحديث.** لذلك عـــندما يمـــتد سهم النقد للجذر (أي التوراة) ويصل إلى معني النبوة فيها فإن كل استنتاجات مشتقة من تلك الكتب المسماة بأسماء الأنبياء والاحترام الديني والتعليقات التي تكتب عليها بموجب هذا المعني لا تستحق النظر فيها.)[١] ففي صموئيل الأول في فصل (١٠ :٥) يبدو في مواضع كثيرة منه أن كلمة نبي محددة بمعني شاعر وموســـيقي، كمـــا أن الشخص الذي لديه بصيرة وتخيل في الأشياء الخفية لم يكن يسمي نبيا بل هو **عـــراف أو رائي** a seer وهذا ما نراه في صموئيل الأول فصـــل (٩ : ٩، ١٩) فلـــم تكن كلمة الرائي خارج الاستعمال: والأكثر احتمالا أن شاول عندما عاقب أولئك الذين أسماهم مشعوذين أو سحرة فإن مهنة الرائي أو فن الرؤية لـــم يكـــن محددا بكلمة نبي . لأنه وفقا للمعني الحديث لكلمة نبي هي تعني التنبؤ بأحداث على مدي زمني بعيد أي في المستقبل).[٢]

والمعنـــي الحديـــث للنـــبوة بمعنى التنبوء بأحداث المستقبل يصبح ضروريا لمبدعـــي البشارة أو العهد الجديد من أجل استخدام أو تطبيق نبوءات العهد القديم في زمن العهد الجديد. ووفقا للعهد القديم نبوءة **الرائي** وبعد ذلك نبوءة **النبي**.وحيث أن كلمـــة الرائـــي متضـــمنة معني كلمة النبي ، فهي تشير إلى أشياء في الزمان مرتـــبطة جـــدا بهـــم مثل معركة يخوضونها، أو رحلة يقومون بها ، أو مشروع

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P.26-27.
2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.177

يأخذونـــه علـــى عـــاتقهم لأي ظرف أو صعوبة يواجهونها . وكل هذا يحدث لهم مباشـــرة (كمـــا في العبارة المذكور في الحال لدى Ahaz واشعياء Isaiah " نظرا عـــذراء تحمـــل وتلد صبي " ليس في مدى زمني مستقبلي . إنها نوع من النبوءة موافـــق مـــا نسميه قراءة الطالع أو ما تقوله النجوم في التنبؤ بالحظ والثراء وسوء الحظ والزواج ، وتمني الخيرات المفقودة . غير أن الارتفاع بالشعراء والموسيقيين والمشعوذين والحالمين إلى فئة خاصة منذ كانوا فإن ذلك من خدع الكنيسة المسيحية ولـــيس مـــن خدع اليهود ، ومن خرافة الأزمنة الحديثة وجهلها ، وليس من خرافة الأزمنة القديمة وجهلها .

ومـــن ســـمات أنبياء اليهود أنهم كانوا أحزابا ،كل نبي يتنبأ وفقا لحزبه ضد الحـــزب الآخر. وذلك شأن الكتاب السياسيين أو الشعراء يكتبون للدفاع عن حزبهم مـــع أو ضـــد حزب آخر. فبعد أن انقسم اليهود إلى أمتين : أمة يهوذا Judah وأمة إسرائيل Israel فكل حـــزب له أنبيائه ونبوءاته ، يذم كل نبي ويتهم نبي الحـــزب الآخر ، وما ذلك إلا لكونهم كلهم أنبياء كذبة زائفين ودجالين الخ...ففي الأول فصل كتاب الملوك (١٣: ١٤-١٨) " أأنت رجل الله الذي جاء من يهوذا ، فقال أنا هو . فقـــال له سر معي إلى البيت وكل خبزا . فقال له لا أقدر أن أرجع معك ولا أدخل معك ولا آكل خبزا ولا أشرب معك ماء في هذا الموضع . لأنه قيل لي بكلام الرب لا تـــأكل خبزا ولا تشرب هناك ماء ولا ترجع سائرا في الطريق الذي ذهبت فيه . فقال له أنا أيضـــا نبي مثلك وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلا أرجع به معـــك إلى بيتك فيأكل خبزا ويشرب ماء. (ولكنه يقول في سفر ١٨ أنه) كذب عليه . فرجع معه وأكل خبزا في بيته وشرب ماء. " ورغم هذا الحدث فإن نبي بني يهوذا لم يعد إطلاقـــا إلـــى يهوذا ذلك أنه واجه الموت على الطريق كما يقول توماس بين عن طريق حيل نبي بني إسرائيل الذي يسمي في حزبه نبي حق بينما يعتبرون نبي بني يهوذا نبيا كاذبا).[١]

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P178-179.

و نجـد فـي كـتاب الملـوك الثاني (٣ : ١٠ – ١٤) قصة تتعلق بالتنبؤ والتوسل والشعوذة وتظهر القصة في جوانب متعددة سمات النبي .تقول القصة ملك يهـوذا يهوشافاط وملك إسرائيل أوقفا العداء بينهم ودخلوا في تحالف مع ملك ادوم ضـد ملـك أوآب Moab ، وبعد أن زحفت جيوشهم كانوا في إحباط عظيم بسبب المـاء الذي بموجبه قال يهوشافاط " أليس هنا نبي للرب فنسأل الرب به ؟ فأجاب واحـد مـن عبيد ملك إسرائيل وقال : هنا أليشع (واليشع واحد من حزب يهوذا ، وذهب الملوك الثلاثة إلى اليشع ، وعندما رأي اليشع ملك إسرائيل قال له ماذا أفعل معك ، اذهب إلى أنبياء أبيك وأنبياء أمك ، فقال له ملك إسرائيل كلا لأن الرب قد دعـا هؤلاء الملوك الثلاثة معا ليدفعهم في أيدي أوآب (والمعني أنه بسبب الخطر الذي كانوا فيه بسـبب الماء.) الذي بموجبه قال اليشع " حي هو رب الجنود الذي أنـا واقف أمامه أنه لولا أني رافع وجه يهوشـافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك ولا أراك." وهـنا يبدو كل الحقد والخشونة من حزب النبي . أما عن طريقة التنبؤ فـي (٣ : ١٥) يقول أليشع " أتوني بعواد ولما لعب العواد بالعود كانت عليه يد الـرب." وهنا تبدو مهزلة الشعوذة من أجل التنبؤ ، قال اليشع مغنيا أنغاما يلعبها " هكـذا قال الرب اجعلوا هذا الوادي مملوء بالقنوات ... ويقول توماس بين إن هذه النبوءة تخبرهم بما يستطيع كل فلاح أن يخبرهم به بدون ربابة أو كمان أو رواية هزلية . فالأنبياء مشعوذون بارزون في الكذب والسب واللعن ، واليشع كان بارزا في هذا الفرع من التنبؤ فقد لعن اثنتان وأربعون طفلا باسم الرب .. ونحن نظن أن هؤلاء الأطفال من حزب اسرائيل).[1]

وهـناك وصـف آخر لرجال أنبياء يلهون أنفسهم بالأحلام والرؤى . ونحن لا نعرف أ هي تحدث بالليل أم بالنهار . وهؤلاء الأنبياء غير مؤذين إلا أنهم خبثاء شيء ما. ومن هذه الفئة من الأنبياء نجد حزقيال Ezekiel ودنيال Danial . وكتابي حزقـيال ودنيال يختلفان عن باقي الكتب لأن هذه الكتب مملوءة بالتعليقات والأحلام

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P180-181.

والــروى ، واختلافهم عن الكتب الأخرى ناشئ عن كون مؤلفيها سجناء حرب أو ســجناء دولــة فــي قطر أجنبي يلزمهم السجن على نقل معلوماتهم ومشروعاتهم السياسية في مصطلحات مجازية غامضة . وهم تظاهرون بأنهم يحلمون ، ويرون رؤى ، لأنــه غــير آمن لهم أن يتكلموا الحقائق بلغة واضحة . ومع ذلك علينا أن نفــترض أن الأشخاص الذين إليهم يكتب حزقيال ودنيال فهموا قصدهما مما كتب إلــيهم . فكتبهما ليس موجهة لأي شخص آخر. ..ويزيد توماس بين الأمر إيضاحا بأن حزقيال ودنيال سجنوا في بابل في الأسر الأول ، تسع سنوات قبل الأسر الثاني الذي كان في عصر صدقيا Zedekiah . وكان اليهود مازلوا كثيرين ولهم قوة ذات اعتــبار في أورشليم ، فمن الطبيعي افتراض أن الدجال في موقف حزقيال ودنيال يفكر في استرداد وطنه وخلاصه. ومن المعقول افتراض أن الأحــلام والروى التي تملئ هاذين الكتابين هي ليست شيئا آخر أكثر من أسلوب متنكر ، أو أبجدية سرية كشفرة لتسهيل تلك الموضوعات ، وإذا لم تكن شفرة أو أبجدية سرية فإنها حواديت بلا معني.أو طريقة خيالية للتخفيف من تعب الأسر. ولكنها كانت شفرة).[1]

يــبدأ حزقــيال كــتابه بــالكلام عن رؤية الملائكة والأطفال الجمال أي عن الشــاروبيم cherubims ، وعــن العجلة في داخل العجلة التي يقول أنه رآها بنهر Chebar فــي الأرض التي هو أسير فيها. ويفسر توماس بين هذه الشفرة فيقول : ألــيس مــن المعقــول افتراض أن ما يعنيه بالأطفال الجمال معبد أورشليم ، حيث أشكال الأطفال الجمال ؟ وبالعجلة في داخل العجلة تفهم بمغزى المخالفة أو النقد أو المعارضــة السياسية . مشروع ووسائل استرداد أورشليم . وفي الجزء الأخير من الكتاب يفترض نفسه انتقل إلى أورشليم وفي المعبد . وعاد يشير إلى الماضي يشير إلــى رؤية على نهر Chebar . وهذا يبين أن الأحلام والروى المدعية إنما هي من أجل غرضهم في استرجاع أو استرداد أورشليم وليس شيئا أكثر من هذا).[2]

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P182-183.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P184.

ولكـن المعلقيـن والكهـان حيروا أنفسهم وشغلوا عقولهم ليكتشفوا ما لم يكن يقصـدون إلـيه ولا يملكـون شيئا يفعلونه معه.فالتأويلات والتفسيرات التي كتبها المعلقـون والكهـان على كتابي حزقيال ودنيال ، قلبوهم إلى أشياء أسموها نبوات ربطوهـا بأزمان وعصور وظروف أبعد ما يكون عن عصر حزقيال ودنيال ... فـأي شـيء يمكن أن يكون أكثر عبثية من افتراض أن الرجال كحزقيال ودنيال وطـنهم مدمر وفي يد العدو، وكل أصدقائهم وأقاربهم في الأسر مستعبدين ... فأي شـيء أقولـه يمكن يكون أكثر سخفا من افتراض أن مثل هؤلاء الرجال لم يجدوا شيئا يفعلوه إلا استغلال وقتهم وأفكارهم حول ما حدث للأمم الأخرى بألف أو ألفي سـنه بعد موتهم. وفي الوقت عينه لا شيء طبيعي أكثر من أنهما تأملا استرجاع أورشـلم ، وخلاصها و نجاتهم . وهذا هو الهدف لكل غموض في كتابات مجنونة تتضـمنها هـذه الكتب.. وبهذا المعني أسلوب الكتابة المستخدم في هاذين الكتابين أملته الضرورة وليس عن اختيار حر، إلا أنه ليس من العقل في شيء أن نستعمل هذه الكتب بوصفها تنبؤات لأنها تكون زائفة.ففي الفصل (٢٩ : ١١) من حزقيال يـتحدث عـن مصر ويقول " لآ تمر فيها رجل إنسان ، ولا تمر فيها رجل بهيمة ولا تسـكن أربعين سنة" هذا لم يحدث ومن ثم زائف مثل تنبؤات الكتب التوراتية الأخرى).[1]

وكتاب يونان أو يونس قصة خيالية مترجمة عن الـوثنيين Gentiles تكشف لـنا سـمة ضارة هي موضع نقد على نبي التوراة . يبدو في هذا الكتاب يونان أو **يونـس نبيا غير مطيع يهرب من رسالته** . ويأخذ لنفسه مأوى في سفينة الوثنيين Gentiles ويفـترض يونس عن جهل (بسبب معارضته لله) أنه يستطيع أن يخفي نفسه حيث لا يستطيع الله أن يجده ...وعندما القي الوثنيون بيونس في البحر ابتلعه الحوت حيا وظل في جوفه إلى أن أمر الرب الحوت فقذف بيونس إلى البر. وتسلم

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II , P.186.

يونـــس الرســـالة الثانية من ربه إلى نينوي Nineveh ، فهل اتعظ يونس من خطر الـــبحر الـــذي عايشه وعاناه من عدم طاعته لله . وربما يتصور الفرد أن المعاناة طبعـــت يونـــس بطابع الخير والرحمة في إنجاز رسالته الثانية ، ولكن الأمر على النقيض يدخل يونس المدينة بالشكاية واللعنة في فمه صارخا في فصـــل (٣ : ٤) " بعد أربعين يوما تدمر وتنقلب نينوي ". ورغم أن يونس رسول مبشر إلا أن تلك الروح الحقودة لنبي التوراة ظاهرة في كل شخصيته وسماته السوداوية التي ينسبها البشـــر لمـــا يســـمونه الشـــيطان ... فأذاع النبوءة دون أن يتأمل رحمة خالقه به وبالآخريـــن بل يترقب وينتظر بضجر وحقد دمار أو خراب نينوي .. فهو مغموم غما شديدا غاضبا جدا قلبه قاس أو متحجر يريد تدمير كل نينوى وكل نفس صغير طفـــل أو عجـــوز يريد للكل أن يلقي حتفه . ولكن هذه النبوءة لم تتحقق ... وينمو اليقطيـــنة بالليل ويعده بمأوى مناسب من الحرارة والشمس في المكان الذي يعتزل فـــيه ، واليوم التالي يموت. وهنا حنق وغضب النبي أصبح مفرطا مستعدا لتدمير نفســـه فيقول " من الأفضل لي أن أموت عن أن أعيش ، وهنا افتراض المعارضة بين القدير والنبي يقول القدير هل أنت غاضبا من أجل الحماية ، ويقول يونس إنني غاضبا جدا حتى الموت. فقال الرب أنت إن شفقت على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا رأيـــتها نبـــت لـــيلة كانـــت ونبت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظـــيمة التي يوجد فيها أكثر من مائة وعشرون ألف فردا لا يعرفون يمينهم من شمالهم ... وهذا القدح ضد سمات أنبياء التوراة وضد الأحكام المميزة التي يزدحم بهـــا التوراة على الرجال والنساء والأطفال. مثل طوفان نوح وتدير مدن Sodom و مديـــنة Gomorrah وإبـــادة الكنعانييـــن حتى الأطفال الرضع والنساء . وبسبب التفكـــير عينه يوجد أكثر من مائة وعشرون شخصا لا يميزون يمينهم عن شمالهم بمعنـــي أنهم أطفال صغار في كل أحوالهم ... ولما كانت أخلاق الوعظ ضد روح الحقد في التنبؤ فإن نبوءات التوراة مريضة متحيزة لرغبات النبي في التنبوء يفخر

بأن أحكامه صحيحة ويدمي قلبه في النهاية لفشل تنبوءاته . فكتاب يونس نقطة جيدة ضد الأنبياء والنبوءات).[1]

لذلـــك يقول توماس بين إذا كانت النبوة تقوم على افتراض أن إنسان متصل بالقديـــر وينـــبأوه بـــبعض الأحداث التي تقع في المستقبل في مصطلحات مفهومة مناسبة لأي ظرف فيما بعد. هذا التصور غير لائق بالقدير أن نفترض أنه يتعامل مـــع البشر بهذه الطريقة الهزلية التي تندرج تحتها كل نبوءات التوراة ... وفضلا عن ذلك لا يستطيع النبي المتنبأ أن يخبر ما إذا كان صادقا أو كاذبا ، أو إذا كانت النـــبوءة موحاة له من عند الله أو من تصوره الخاص. شيء يجب أن يحدث أو أنه مشـــابهة لأشياء كثيرة تحدث يوميا. فلا أحد يستطيع أن يعرف إن كان هو عرفها مـــن قـــبل أو خمن بها. فالنبوة غير ضرورية والأفضل الاحتراس ضد أن تكون خداعا).[2]

وهـــنا يبدو الاختلاف بين توماس بين وسبينوزا حيث يري الأخير الوحي أو المعـــرفة النـــبوية (من حيث النظرية) معرفة يقينية يوحي الله بها إلى النبي عن شيء ما. والنبي هو مفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به ، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده ... وتتساوى عـــند ســـبينوزا المعرفة النبوية والمعرفة الفطرية لأن ما نعرفه بالوحي أو النبوة نعـــرفه بالـــنور الفطري .فالمعرفة الفطرية لها الحق في أن تسمي معرفة إلهية أو نبوية لأنها أثر من آثار الطبيعة الإلهية .. **ومن حقنا أن نسلم بأن السبب الأول لكل وحـــي يرجع إلى طبيعة الذهن الإنساني منظورا إليه على أنه قادر على المعرفة الفطرية**.وهذه المعرفة الطبيعية أو الفطرية لا تختلف عن المعرفة الإلهية أو النبوية إلا فـــي نقطة واحدة . هي أن المعرفة الإلهية تتعدى حدود المعرفة الفطرية . ذلك

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II , P.186-191.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I , P.89-90.

لأن الله يتـبع طـرقا مخـتلفة لتبليغ الناس بما يعرفونه من قبل بالنور الفطري .. وعـندما نفحـص الكتب المقدسة نجد أن الله قد أوحي للأنبياء بالكلام أو بالمظاهر الحسـية أو بالطريقتيـن معـا . وفي بعض الأحيان يكون الكلام والمظهر الحسي حادثـا بالفعل . لم يتخيله النبى لحظة سماعه أو رؤيته، وأحيانا أخرى يكون مجرد خـيالات ، بحيث تكون مخيلة النبي مهيأة حتى وهو في اليقظة ، على نحو يجعله يتخـيل أنه يسمع صوتا أو يرى شيئا بوضوح ... وليس في الكتاب المقدس طرق أخـرى يتصـل بها الله بالبشر سوى هذين الطريقين . فلا ينبغي أن نتصور طرقا أخـرى . صحيح أن في قدرة الله أن يتصل بالبشر مباشرة دون اللجوء إلى وسائل ماديـة ، فهو يوحي بماهيته إلى روحنا . ولكي يدرك الإنسان بالروح وحده أشياء ليست متضمنة في الأسس الأولي لمعرفتنا ولا يمكن استنباطها منها، يجب أن تكون روحه بالضرورة أعلى من الروح الإنساني وتفوقه في الكمال ولا أعتقد أن شخصا مـا استطاع أن يصل دون الآخرين إلى هذا الكمال إلا المسيح الذي أوحي الله إليه أوامره مباشرة دون توسط بالكلام أو الرؤية ، بحيث كشف الله عن نفسه للحواريين مـن خلال روح المسيح ، فقد اتصل المسيح بالله مباشرة اتصال الروح بالروح .. والنتيجة التي نصل إليها من ذلك هي أنه باستثناء المسيح لم يتلق أي شخص وحيا مـن الله دون الالـتجاء إلـى الخيال ، كلام أو صور، وينتج عن ذلك أن النبوة لا تتطلـب ذهـنا كـاملا بل خيالا خصبا "[1]. وهذا هو كلام الفلاسفة المسلمين قبل سبينوزا قال به كثير منهم ابن سينا في" الإشارات والتنبيهات "و الفارابي في كتابه " آراء أهـل المدينة الفاضلة " عندما يتحدث عن العضـو الرئيس للمدينة وأنه يجب أن يكـون إما نبيـا أو فيلسوفا . موضحا وجه الاختلاف بين النبي والفيلسوف في القوة المعرفية التي بها يستفيد المعرفة من العقل الفعال وهي عند النبي ملكة المخيلة

١- سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة الدكتور حسن حنفي ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ص ١٢٣-١٣٤.

وعـــند الفيلسوف ملكة العقل فالنبي صاحب مخيلة واسعة والفيلسوف صاحب عقل أتم . ومصدر المعرفة واحد وهو العقل الفعال"[1].

وكـــل مـــا ينشغل به في الفكر الإسلامي حول وجوب النبوة أو إمكان النبوة وعـــن تطـــور الوحي واكتمال النبوة بخاتم الأنبياء . وأن تواتر النبوة أو الرسالة أساس صحتها التاريخية وبقاؤها بلا تزييف أو تبديل أو تحريف . وأن النبوة واقعة بيقين التواتر ، والتواتر أساس المعرفة التاريخية يستحيل معه التواطؤ على الكذب . ويفيد اليقين .. وأن الوحي وسيلة لإعطاء بداية يقينية أولية يبدأ منها العقل"[2]. وكل هذا يضعه توماس بين جانبا ، وينقد النبوة كرسالة ووسيلة لتبليغ الوحي ، ذلك أن قضـــيته واضحة من البداية ، الوحي الحقيقي هو الخلق رسالة واضحة من الله لكل إنســـان في لغة كونية أو عالمية ، يفهمها الفرد في كل زمان وكل مكان . لا حاجة فيه إلى نبوة أو أنبياء لتبليغ الرسالة ، فالخلق واضح يقيني أمام العقل والحواس .

ثانيا : المعجـــــزات

خضعت المعجزات للنقد الحاد في عصر الحداثة ، ينقدها سبينوزا من منظور فلســـفي مؤســـس علـــى وحـــدة الوجود ، وينقدها كانط على أساس تصوره للدين الأخلاقـــي ، ويرفضـــها روسو على أساس دين الشعور الرافض لكل وحي ونقل وتواتـــر .بيـــنما يبدو نقد توماس بين للمعجزات مؤسس على تصوره للدين العالمي والفلســـفة الطبيعية . ويبدو نقده المعجزات له طابع فلسفي وعلمي معا يصعب معه الفصل بين الجانبين .

١- أبـــو نصـــر الفارابي ، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق الدكتور البير نصري نادر ، المطبعة الكاثولكية ، بيروت،ص ٩٩-١٠٤.

٢- حسن حنفي ، من العقيـــدة إلى الثورة ، النبوة والمعـــاد ، المجلد الرابع ، مكتبـــة مدبولي ، ص ٢٣٢-٢٤٥.

وفــي كــل أشــكال النقد تبدو المعجزة واقعة نجهل قانونها الطبيعي. إلا أن تومــاس بيــن يري أن البشرية لا تملك معيارا موضوعيا لتحديد المعجزة . وفي غياب المعيار الموضوعي كل شيء يمكن أن يكون معجزة بمعني ما ، وفي معني آخــر لا يكــون ثمــة إعجــاز . يكون الشيء معجزة بالمقارنة بقدراتنا الإنسانية الخاصــة ، وفهمنا الخاص ومدى معرفتنا ، ولا يكون الشيء معجزة مقارنة بالقوة أو القدرة التي تحققه .

ولقد عرفت البشرية قوانين معينة يتم بواسطتها عمل الطبيعة إلا أن المعجزة شــيء مضــاد لعمــل تلك القوانين وخرق لها . فإذا لم نعرف القوانين كافة التي بواســطتها نســمي قــوة الطبيعة وعملها فإننا لا نستطيع الحكم بأن أي شيء يبدو معجــزة، طالمــا وأن معرفتنا لم تصل إلى قوانين الطبيعة في مجملها والتي تفعل الطبيعة وفقا لها . فمثلا ارتفاع الإنسان أميالا عديدة في الهواء يبدو لمن ليس لديه معــرفة بأنواع الهواء معجزة . كما أن انبعاث شرار النار من جسم الإنسان على نحــو ما ينبعث الشرار من ارتطام حجر الصوان بالصلب بدون فاعل غير مرئي يــبدو معجزة لمن هو ليس على دراية بالكهرباء والمغنطيسية. وذلك لأن البشرية تصدق بالمظاهر ، ولا يوجد معيار موضوعي لتحديد المعجزة.فضلا عن أن فكرة المعجــزة مقحمة على البشرية بشكل مستمر من الأديان،وأي نسق وضع عليه اسم الدين تكون معجزاته دليلا على عدم اتساقه.فالمعجزة تحت أي اسم ظهرت.إنما هي تحــط مــن قدرة القدير إلى شخصية إنسان يعرض خدعا ليجعل البشر في دهشة وانبهار).[1]

ولمــا كــان الاعــتقاد في المعجزة والتصديق بها لا يعتمد علي على معيار موضــوعي بل على الثقة فيمن بلغ وقال أنه شاهد المعجزة . فالشيء إن كان حقا وصحيحا ليس لديه فرصة أفضل للاعتقاد فيه عن لو أنه كان شيئا زائفا.

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P. 83-85.

لذلك إذا افترضنا أن المعجزة هي خروج عن مسار قوانين الطبيعة. وبررنا وجودهـا بالشـخص الذي يقول أنه شاهدها. وهنا يثير.توماس بين السؤال ما هو الاحـتمال الأقوى أتفعل الطبيعة خارج مسارها أم أن الإنسان يحكي كذبا ؟ وعند توماس بين كما هو عند اسبينوزا لا يمكن للطبيعة أن تفعل خارج مسارها "فالطبيعة تحتفظ بنظـام ثابت أزلي لا يتغير ، ولا يحدث شـيئا يناقض الطبيعة ، ... وهذا مـا نتبين حقيقته عن طريق المبدأ المثبت عن القانون الإلهي وهو أن كل ما يشاؤه الله أو يحـدده يتضمن ضرورة وحقيقة أزليتين . هذا المبدأ قد استنتجناه ، من عدم تمـيز ذهـن الله عن إرادته . فلا فرق بين قولنا أن الله يريد شيئا ما وقولنا أن الله يتصـور شيئا ما ، فالضرورة واحدة في التصور والإرادة . ويترتب على ذلك أن القوانيـن العامة للطبيعة ليست إلا أوامر إلهية تصدر عن ضرورة الطبيعة الإلهية وكمالهـا . فلـو حـدث شيء في الطبيعة يناقض قوانينها العامة، كان هذا الشيء مناقضا أيضـا لأمر الله وعقله وطبيعته . وإلا فإن المرء لو سـلم بأن الله يفعـل مـا يناقض قوانين الطبيعة ، لاضطر إلى أن يسلم بأن الله يفعل ما يناقض طبيعته الخاصة . وهذا ممتنع كل الامتناع . لأن قدرة الطبيعة هي نفسها قدرة الله ، وقدرة الله هي ذاتها ماهيته ... إذ لا يحدث شيء في الطبيعة مناقض لقوانينها العامة ، أو حتى لا يتفق مع هذه القوانين أو لا يصدر عنها بوصفه نتيجة لها.إن كل ما يحدث يحـدث حقـيقة بإرادة الله وبأمره الأزلي ، أي أنه لا يحدث شيء إلا وفقا لقوانين الطبـيعة.فالطبـيعة تسـير اذن وفقا لقوانين وقواعد تنطوي على ضرورة وحقيقة أزليتين . وإن لم نكن نعرفها كلها ، فهي تتبع نظاما ثابتا لا يتغير).(1)

وعلى أساس الدين الأخلاقي ينقد كانط المعجزات . فيقول لنفترض أن الله في ظـروف خاصة يسمح للطبيعة بالانحراف عن قوانينها الخاصة، إلا أننا لا نستطيع إطلاقا أن نصل إلى أي تصور عن القانون الذي يجلب الله وفقا له مثل هذا الحدث.

١- سـبينوزا ، رسـالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم ا.د. حسن حنفي، الهيئة المصر العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١.ص ٢٢٢-٢٢٣.

علـــى العـــالم. وهـــنا يكون العقل الإنساني معطلا تماما فيما يختص بمعرفة هذه القوانيـــن. والتي هي أمر من الله إلا أنها تناقض قطعا الأخلاق . مثال ذلك معجزة الأب المـــنظم لذبح ابنه ، رغم أنه يعرف تماما أنه طاهر وبرئ . ومبرر كانط في ذلك أن الإلزام بالفعل الخير هو الذي يدرك في الحال كواجب ولا ينتج إطلاقا عن روح الشـــر. لذلك من المستحيل في شئون الحياة أن نأخذ المعجزات في الاعتبار علـــى الإطـــلاق ، لأن العقل هو ما يجب استخدامه في كل واقع الحياة وأحداثها، ولا نغامر بتجاوز حدود العقل)[1].

وعـــند تومـــاس بين لا يمكن القول إطلاقا أن الطبيعة تفعل خارج مسارها ، فالمعجزات لا تليق بالقوة والقدرة والإرادة الإلهية . ونحن لم نرى في أيامنا هذه أن الطبـــيعة تخـــرج عن مسارها . ويبقي كل حكي عن المعجزات كذبا . وعن قصة الحـــوت الذي ابتلع يونس يقول توماس بين أن هذه القصة ضخمت بما فيه الكفاية ولكن ربما تقترب الحكاية من فكرة المعجزة إذا كان يونس هو الذي ابتلع الحوت . فهـــذا هو الاحتمال الذي فيه تخرج الطبيعة عن مسارها ورغم أن الخبر عن قصة الحـــوت الذي ابتلع يونس خبرا كاذبا . إلا أن الاحتمال بأن يونس قد ابتلع الحوت مرفوض أيضا لأنه يجب أن يكون يونس في طول وحجم يفوق الحوت ، ولو كان يونس كذلك لاعتقد البشر أنه شيطان).[2]

ومـــن المعجزات المتعلقة بالعهد الجديد أن الشيطان طار بعيدا حاملا يسوع المسيح معه إلى قمة الجبـــل وعلى قمة أعلى برج من المعـــبد ظهر له ووعده بكل ممالك العالم. فلماذا لم يكتشف أمريكا؟ أم أن الممالك قائمة على ارتفاع مسحور؟... إن المســـيح نفســـه قد أخبر عن معجزة الحوت وليس من السهل تبريرها وما هو الغـــرض مـــنها ... إن المعجـــزات شيء غير ضروري مريك للاعتقاد وليس لها

١- فريال حسن ، الدين والسلام عند كانط ،مصر: العربية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١،ص٩٠ .

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P. 86.

فـــائدة ، وحـــتى إذا كانت صحيحة من الصعب الاعتقاد فيها كما نعتقد في المبادئ الأخلاقـــية . فالمـــبدأ الأخلاقي يتحدث عن ذاته بشكل عالمي بينما المعجزة شيء مرتـــبط باللحظة ، ولا يراها إلا قلة .وليس لها غرض أو هدف مفيد.ومعها يتحول الإيمان من الإيمان بالله إلى الإيمان بإنسان حيث الاعتقاد في المعجزة يتم بموجب تقرير الإنسان ناقل المعجزة أو مبلغها. ولا يجب اعتبار المعجزة دليلا على صحة نســق الديـــن بل هي دليل على وجوده الأسطوري).[1] وهو ما يقوله كانط بشكل آخـــر. فالديـــن الصـــحيح يؤســـس عند كانط على الاستعداد الأخلاقي وليس على المعجزات أو هذه الحلي ، التي يستخدمون فيها مبدأ التواتر ليجعلوها عامة. ومبدأ الـــتواتر يرتكـــز على ما هو مسجل بشكل ثابت في كل نفس . ولكون النفس ليس بحاجة إلى المعجزة يكون استخدام التفسيرات التاريخية ضروريا ويجعلوها هي كل العقيدة والدين .

كمـــا يـــنقد ولتر ستيس المعجزات و ينفي أن تكون المعجزة برهانا لإثبات وجود الله ويرى أن هذا البرهان قد ولى زمانه فيقول " أفترض أن حادثة مذهلة قد وقعت يستغلق علينا تفسيرها تماما كأن يتحول الماء إلى خمر أو يتحول الحجر إلى خـــبز . وفـــي هذه الحالة إما أن تعود الأحداث الغريبة والشاذة إلى قانون طبيعي معين لكنا نجهله الآن.وإما أن تكون خرقا للقانون الطبيعي لا نستطيع تفسيره إلا إذا عرفنا كل قوانين الطبيعة عندئذ لن تكون المعجزة تدخلا إلهيا ، وبالتالي لن تقدم أى دلـــيل علـــى وجود الله . ولكن لو عرفنا المعجزة بأنها تدخل من الله لكسر قانون الطبيعة ، فإننا في هذه الحالة لا نستطيع أن نستخدم أي حادثة مذهلة كبرهان على وجـــود الله ما لم نكن نعرف بالفعل جميع قوانين الطبيعة ، ونعرف أن هذه الحادثة المعينة لا يمكن تفسيرها أبدا عن طريق هذه القوانين"[2] .

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P.87.

٢- ولـــتر ســـتيس ، الدين والعقل الحديث ، ترجمة أ.د. إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٨، ص٢٥٣

ثالثا : الأســـرار

يـــنقد توماس بين عقيدة الأسرار. ويرى أن السر لا يتوافق والدين الحق لأن جوهـــر الدين الحق هو الحقيقة الأخلاقية ومن ثم تكون المطابقة بين السر والحقيقة الأخلاقـــية مطابقـــة الظلمة على النور. وما ينتج عن هذه المطابقة ليس إلا إرباك العقل وتضليله بقصص وأساطير ينفر منها العقل ولا يقرها وعندما يضعها موضع السؤال والمناقشة يكون الرد عند رجال الدين أن هذا سر إلهي.

إن الله عند توماس بين هو إله الحقيقة الأخلاقية ولا يمكن أن يكون إله السر. وكلمـــة الســـر لا يمكن تطبيقها على الحقيقة الأخلاقية. ولا يمكن أن يكون الله إله الســـر والغموض . السر خصم مضاد للحقيقة ، إنه ضباب الاختراع الإنساني يغيم على الحقيقة ويحجبها ويمثلها في تشويه وتحريف . فالسر من عمل خصوم الحقيقة الأخلاقية ، وليس من الحقيقة إطلاقا).[1]

والديـــن من حيث هو اعتقاد في الله ، وممارسة للحقيقة الأخلاقية . لا يرتبط بـــأي ســـر . فالاعـــتقاد في الله بعيدا عن أي شيء من السر ... وممارسة الحقيقة الأخلاقـــية ، أو محاكـــاة الخير الأخلاقي لله هو ليس أكثر من العمل نحو البشرية جمعـــاء . وهـــذه هي الفكرة الوحيدة التي لدينا عن معنى خدمة الله هي أن نشارك ونســـاعد فـــي إسعاد المخلوق الحي الذي خلقه الله . ولكن هذا لا يتم بحياة العزلة والانسحاب من العالم والمجتمع فذلك تدين أناني . بينما كل طبيعة الدين ومقاصده كمـــا اعـــبر عـــنه تثبت وتبرهن أن الدين يجب أن يكون حرا من كل شيء سر ، ولا يعبر عن أي شيء يكون سرا . لأن الدين بوصفه واجبا أخلاقيا حتميا على كل نفس حية يجب أن يكون على مستوى فهم وإدراك كل إنسان . والإنسان لا يستطيع أن يـــتعلم الديـــن كمـــا يـــتعلم خفايا وأسرار التجارة . الإنسان يتعلم الدين بالتأمل

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P. 80.

والتفكـــير وينشأ الدين من بين أفعال عقله الخاصة . بموجب الأشياء التي يراها أو بموجـــب مـــا حـــدث له أو سمعه أو قرأه ، أو ممارسة تتصل بهذا . ولكن عندما يؤســـس البشر نظما للدين لا تتفق مع كلمة الله أو إعمال الله في الخلق ، هذه النظم هـــي ليست فقط فوق الفهم الإنساني بل مكروهة تعافها النفس ، نظم تعارض بكلمة السر كل تساؤل وبحث وتأمل ، وتحقق بهذا فساد الدين الحق في ضباب الأسرار).[1] فقصـــة الله الـــذي يقدم أبنه للموت أو يجعل البشر يفعلوا به هذا ، لا يمكن أن تقال بواسطة الأب ، ولا أن يخبر أبنه بأن هذا يتم ليجعل البشر أسعد . كما لو أن البشـــرية تسعد بمثال القتل . ويخبره بأن كل هذا سر وكأنه البشرية تصنع اعتذارا أو صـــفحا عمـــا لا يمكن تصديقه . ويسأل توماس بين كم هذا مختلف عن وظيفة الألوهية البسيطة والنقية . وإن المؤله الحق ليس له إلا إله واحد ودينه يقوم في قوة التفكـــير فـــي حكمة الله ورحمته وقدرته في أعماله وأفعاله . وما علينا إلا السعي لمحاكاته في كل شيء أخلاقي وعلمي وآلي).[2]

ورغـــم نقد المطابقة بين السر والحقيقة الأخلاقية يري توماس بين السر في فعل الله في خلقه . وإذا لم يكن الفعل مكشوفا لنا في كل شيء مخلوق لله ولا نعرف ماذا أخذ الخالق على نفسه تحقيقه من أجلنا فمن الأفضل أن نتركه سر . وكل شيء مخلـــوق بهـــذا المعنـــي سر . وجودنا الخاص هو سر ، عالم النبات سر . ونحن لا نســـتطيع أن نعلـــل كيف أن البلوط عندما يوضع في التربة ينمو ذاته ويتطور ويصبح شجرة بلوطا . ونحن لا نعرف كيف تكون تلك البذرة ولم نرى كيف تتفتح وتصـــير كثرة ثم تعود إلينا وعلينا بالمنفعة ورأس المال . ومن الواضح أن الواقعة تخـــتلف عـــن السبب الفاعل . ولكن الواقعة ليست سرا لأننا نراها ونعرف أيضا

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P. 80- 81

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P. 66.

الوسائل التي نستعملها معها وهي ليست إلا وضع البذور في التربة.لذلك ندرك كم يكـون مـن الضـروري لنا أن نعرف أن جزء من العملية التي تتم بها الواقعة لم نعرفه ، والذي إذا عرفناه لم نستطيع تحقيقه . ويأخذ الخالق على عاتقه تحقيقه من أجلـنا. فكل شيء مخلوق هو بهذا المعني سر ، فكلمة السر لا يمكن تطبيقها على الحقيقة الأخلاقية)[1]. فيبقي السر هو فعل الله في الخلق .

● ● ●

2- THOMAS PAINE, Age Of Reason, Part I , Willey Book Company New York P. 79.

الفصل الثاني

العقائد الدينية وأسسها في الأساطير الوثنية.

يـــنقد تومـــاس بين العقائد الدينية بالبحث عن جذورها التاريخية في الأساطير الوثنـــية.ومن ثم يكون للنقد هدفين : الهدف الأول ، تأكيد أن هذه العقائد الدينية في أديان الوحي هي خلق اجتماعي له جذوره التاريخية . والهدف الثاني : ونزع قدسية العقـــائد الدينـــية فـــي تجذيرها تاريخيا وهذا معناه إقرار مشروعية النقد و إمكانية التجاوز.

ورد العقـــائد الدينـــية لجذورها التاريخية[١] يعتبر سمة خاصة وملمحا مميزا لعصر الحداثة بوصفه جانبا من جوانب النقد التاريخي للنصوص المقدسة .

رغـــم أنه من الصعب تبرير صدق العقيدة القائلة أن يسوع المسيح ابن الله . إلا أن الأسطورة الوثنية التي كانت موجودة وشائعة في العالم أعدت البشر للاعتقاد فـــي مـــثل هـــذه القصة . وتقريبا كل البشر الذين عاشوا في ظل الأساطير الوثنية أشـــاعوا أنهم أبناء لبعض آلهتهم. وليس بالشيء الجديد في هذا الزمان الاعتقاد في أن إنســـان مولـــود بشـــكل سماوي . وجماع الآلهة بالنساء كان موضوعا للرأي الشـــائع.الإله جوبتر وفقا لتقديرهم عاشر مئات النساء ، لذلك فالقصة ليس بها شيئا جديـــدا ، إنهـــا موافقة للآراء المنتشرة بين البشر الوثنيين . وأولئك البشر يعتقدون فيها. واليهود باعتقادهم في إله واحد رفضوا دائما الأسطورة الوثنية ، ولم يصدقوا بالقصة اطلاقا).[٢]

١- كـــتاب " الجذور التاريخية للشريعة الإســـلامية " ، لمؤلفه خليل عبد الكريم ، والصادر عن دار سيناء، سنة ١٩٩٠ ، يقول : " الموضوع الذي نبحثه هنا هو محاولة الكشف عن الموروث أو المـــيراث العربـــي الذي ورثه الإسلام عن عرب الجزيرة ، وذلك بقصد فهم الإسلام فهما صحيحا "، ص٩ دون أن يفصح عن ما يعنيه بالفهم الصحيح للإسلام .

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I, P.10.

ونظـرية ما يسمى بالكنيسة المسيحية انبثقت من جانب الأسطورة الوثنية . فالاتحـاد المباشـر الـذي حدث في المثال الأول صار المؤسس المشهور للولادة السـماوية. والـثالوث الإلهي ليس أكثر من اختزال الكثرة السابقة من الآلهة التي كانت حوالي عشرين أو ثلاثين ألفا . وتمثال مريم حل محل تمثال ديانا آلهة الصيد فـي افسوس Ephesus ، وتأليه الأبطال تحول إلى تقديس الأشخاص والقديسين . وأهل الأساطير لديهم آلهة لكل شيء وعلماء الأساطير المسيحية لديهم قديسين لكل شـيء. والكنيسـة أصبحت مزدحمة كما كان " البانثيون "هيكل كل الآلهة مزدحم وروما المكان الذي يضم الكل . فالنظرية الكنسية المسيحية منبثقة عن الأساطير الوثنية عند الأسطوريين القدماء ، والأسطورة تمدهم بالسلطة والقوة والدجل ولكن مع ذلك تبقي الأسطورة بالنسبة للعقل والفلسفة دمار وخداع وغموض).[١]

وقـيامة يسـوع المسـيح وصـعوده جـاء صنوا ضروريا لقصة ميلاده. فـالمؤرخون أوجـدوه في العالم بطريقة مجاوزة للطبيعة فكانوا ملزمين أن يكون خـروجه مـن العالم بالطريقة المجاوزة للطبيعة عينها، وإلا فإن الجزء الأول من القصـة (الخـاص بالمـيلاد) يسقط . ولكن قيامة الشخص الميت وصعوده خلال الهـواء شـيء يقبل التدليل عليه بالدليل البصري. والدليل يجب أن يكون متساويا بالنسبة للكل وللعالم لأن الرؤية العامة لهذا الفعل هي فقط الدليل الوحيد الذي يمكن أن يكون أساس التصديق بالجزء الأول من القصة (الخاص بالميلاد) ولكن القصة بجـزأيها تسقط لأن الدليل العام أو الرؤية العامة لم تحدث إطلاقا . وبدلا عن ذلك ثمانـية أو تسعة أشخاص تقدموا إلى العالم ليقولوا أنهم شاهدوها. ودعوا العالم كله للاعتقاد في القيامة والصعود).[٢]

وأفضل دليل نحترمه في هذا الأمر هم اليهود فهم ينحدرون من الشعب الذي عاش في زمن حدوث القيامة والصعود . وقال اليهود أنه ليس صحيحا، ويبدو عدم اتساق غريب الاستشهاد باليهود كدليل على صدق القضية ... لقد كان الصلب نوعا مـن الإعدام في تلك الأيام . حيث علاقات تاريخية في حدود الاحتمال أن المسيح

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.11.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.12

وعظ بأخلاق راقية تدعو إلى المساواة بين البشر.وضد مفاسد وجشع رجال الكهنوت اليهود ، وهذا جلب على المسيح كل كراهية نظام الكهنوت وحقده . والاتهام الذي وجهه الكهنة ضده هو العصيان والتآمر ضد الحكومة الرومانية التي كان اليهود خاضعين لها في ذلك الحين ، ومن الممكن أن تكون الحكومة الرومانية لديها بعض المخاوف من آثار مبادئه شأنها في ذلك شأن الكهنة اليهود . ومن الممكن أن يسوع المسيح يفكر في خلاص الأمة اليهودية من عبودية الرومان ، وبين المصلح الثوري والفاضل فقد يسوع المسيح حياته.وعلى الرغم من الرواية الواضحة للوقائع فإن علماء الأساطير المسيحيين سموا أنفسه الكنيسة المسيحية وأنتجوا قصصهم الخيالية بما فيها من سخف وتطرف لا تتجاوزه أي أسطورة من أساطير القدماء).[1]

"وعقيدة الصلب والفداء لها أساسها الوثني كما جاء في كتاب خرافات التوراة حيث يقول : يعتقد الهنود أن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنوا الذي لا ابتداء له ولا انتهاء تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه ... وما يرويه البوذيين عن" بوذة "أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه حتي أنهم يسمونه المسيح، المولود الوحيد ، ومخلص العالم ، ويقولون أنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر، ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات ، وقد بين ذلك كثير من علماء الغرب... ومن اراد المزيد يقرأ كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر أفندي التنير البيروتي ففيه بلاغ ومقنع."[2]

إن جميع الأساطير المسيحية لها أساها في الأساطير القديمة كأسطورة الشيطان في المسيحية وأسطورة حرب العمالقة ضد جوبتر التي تقول أن واحدا من العمالقة القي بمائة صخرة في رمية واحدة . وإن جوبتر هزمه بالرعد. وحاصره تحت جبل أثينا ، وفي تحول العملاق وابتعاده عن جبل آثينا يقذف ناره بقوة .

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.14.

٢- عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، العالمية للتوزيع ، الطبعة الأولى ، ص ٥١٤-٥١٥.

ويربط توماس بين صناعة الأسطورة قديما والظروف البيئية،ويقول من السهل هنا أن نـري حالـة الجـبل بوصفه بركانا أوحي بالقصة الخرافية فهي قصة صنعت لتناسـب تلك الظروف وتفرض نفسها عليها ... أما عن أسطورة الشيطان يخبرنا علماء الأساطير المسيحيين أن شيطانهم أثار الحرب ضد القدير ، وأن القدير هزمه وحاصـره لـيس تحـت الجبل ولكن في الجحيم . وهنا من السهل أن نري القصة الخرافـية الأولي أوحت بفكرة القصة الثانية ، لأن قصة جوبتر والعمالقة قد حكيت مئات من السنين قبل قصة الشيطان).[1]

وهكـذا يـبدو الاختلاف بين علماء الأساطير المسيحيين و علماء الأساطير القدامى اختلافا بسيطا، ولكن علماء الأساطير المسيحيين اهتدوا إلى خمل الموضوع إلى أبعد كثيرا فقد ربطوا القصة الاسطورية بقصة يسوع المسيح وتولد القصة في جـبل آثيـنا . ومـن أجل أن يجعلوا أجزاء القصة مترابطة معا استعانوا بالتقاليد الـيهودية.وأصبح علم الأسطورة المسيحي مؤسس على الأسطورة القديمة والتقاليد اليهودية.

لذلـك بعـد أن حاصر علماء الأساطير المسيحيين الشيطان في الجحيم كانوا ملزمين أن يدعوه يخرج مرة أخرى ليأتوا بقصص تابعة، فأدخلوه في جنة عدن في شـكل ثعـبان ودخل في حواره المشهور مع حواء فانبهرت بالاستماع إلى حديثه وكانت النتيجة أن اتبعته أكلت التفاحة، وأكل التفاح أدان كل البشرية..وبعد انتصار الشـيطان علـى الخلق ، فإن علماء الكنيسة رحماء بما فيه الكفاية كان عليهم أن يرسلوا الشيطان مرة أخري إلى الجحيم،أو أن يضعوه تحت الجبل كعلماء الأساطير الأوائل فيما فعلوه ليمنعوا وجوده مرة أخرى بين النساء حتى لا يفعل ضررا كثيرا. ولكـن بـدلا مـن هذا تركوه بدون حتى الزامه بعهد أو وعد. وسر ذلك هو أنهم لا يسـتطيعون أن يفعلوا بدونه .. إنهم صنعوه ورشوه بالبقاء ووعدوه بكل اليهود وكل الأتراك ، تسعة أعشار العالم إلى جانب المحمديين أو المسلمين في المساومة. وبعـد هـذا من الذي يتشكك في كرم علم الأسطورة Mythology المسيحي . لهذا

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.15.

صنعوا القيامة ومعركة السماء وأودعوا الشيطان في الجحيم ، وأمهلوه مرة أخري، وأنتصـــر على كل الخلق ، وكانت إدانة كل البشرية بأكل التفاحة.وعلماء الأساطير المســـيحيين وضـــعوا نهايتين معا لقصتهم الأسطورية.هم اعتبروا الإنسان الفاضل يسوع المسيح أنه إله وإنسان معا.يمثلونه ابن الله مولود بشكل روحاني بغرض أن يكون الضحية أو الذبيحة.بسبب رغبة حواء وحنينها وأكلها التفاحة. فهل هناك قصة تحط من كرامة القدير وحكمته و تتناقض مع قدرته أكثر مما تكون هذه القصة).(١)

ولكـــي يجعل علماء الأساطير المسيحيين للقصة أساسا أعطوا الموجود الذي أسموه الشيطان قوة مساوية إن لم تكن أعظم من قوة القدير . ولم يعطوه فقط القوة علـــى تحرير نفسه من الجحيم بعد ما أسموه سقوطه بل جعلوا القوة تزداد بعد ذلك إلـــى مـــا لانهاية . وقبل السقوط تصوروه ملاكا محدد في وجوده . وبعد السقوط أصبح في تقديرهم حاضرا في كل مكان مهما كان فراغه واتساعه غير محدد .

ليس رضي بهذا الشيطان المؤله تمثلوه مخادع ماكر في شكل حيوان من خلق القديـــر ، خاضـــع للقدير ، إما محاصر كل الخلق بسلطة الشيطان أو يعقد شرطا لاستســـلامه خلاصـــته أن يأتـــي إلى الأرض ويظهر نفسه على الصليب في شكل إنسان. ومخترعو القصة أخبرونا بطريقة مناقضة أنهم تمثلوا القدير بوصفه شيطانا مجبر على أن يظهر نفسه على الصليب في شكل حية كعقاب على خطيئته الجديدة ..فجعلوا المخطئ منتصرا والقدير ساقطا).(٢)

والبشر بسلامة النية اعتقدوا في هذه القصة الخرافية الغريبة وعاشوا بموجب هذا الاعتقاد دون أدني تشكك لأنهم تربوا على الاعتقاد فيه مبتهجين متحمسين بما يتصـــوروه أنـــه حب لا متناهى من الله للإنسان جعله يضحي بنفسه. وقوة الفكرة حرمت عليهم فحص القصة بل ومنعتهم من التفكير في تناقضاتها وسخفها، ويصبح الشيء غير الطبيعي موضوعا للإعجاب المحزن والحزين.

● ● ●

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.16-17.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.18.

الباب الثالث

العقل وتأمل كلمة الله في الخلق Creatiok

الفصل الأول

الخلق وحي حقيقي ودين كوني

بعد أن نقد توماس بين كلمة الله المكتوبة وأبرز جوانب التناقض وعدم الاتساق التي تزعزع الاعتقاد فيها ، يرى أن كلمة الله الحقيقية والوحي الحقيقي هو الخلق ، ننظره ونشاهده ، ولا نملك تحريفه أو تبديله . فالله يبعث وحيه إلى كل البشر وليس إلى فرد واحد بعينه في لغة عالمية يفهمها كل البشر هي الخلق . إلا أن كل نبي من الأنبيـاء لـم يتكلم إلا لغة واحدة ، بينما توجد في العالم عدة مئات من اللغات . لم يـتكلم يسوع المسيح إلا لغة واحدة هي العبرية ، ولم يتكلم محمد إلا العربية . بل نـادرا ما تتكلم أمتان لغة واحدة وتفهم كلاهما الأخرى . كما تتسم اللغات الإنسانية بالخصوصية والمحلية والقابلية للتغيير والتطور، ولا توجد لغة إنسانية عالمية ثابتة تكـون وسـيلة يستعملها الله في البيان عن نفسه بشكل عالمي للإنسان. و قد يحتج البعض بالترجمة ولكن مهما تكن إمكانية الترجمة وقوتها ،فمن المستحيل أن نترجم مـن لغة إلى أخرى دون افتقاد جزء كبير من الأصل ، فضلا عن أخطاء المعني، وإلـى جانب كل هذا فإن الطباعة لم تكن معروفة في زمن الأنبياء.لذلك فالقول بأن الله أرسل الرسل لينشر كل منهم رسالته إلى كل الأمم على الأرض من أقصاها إلى أقصاها ، هذه الفكرة كما يقول توماس بين لا تتسق إلا مع اولئك الذين لا يعرفون شـيئا عـن مدى العالم ويتصورنه عالما واحدا محدود المدى وهو تصور غريب لقدرة القدير.

ويتصـور توماس بين المكان لا متناه والمادة قادرة على الانقسام إلى ما لا نهاية . وبهذا يعارض النظام المسيحي للعالم الذي يقوم على تبرير موسى للخلق ، وقصة حواء والتفاحة ، ويرى العالم الذي نعيش فيه ليس هو العالم القابل للسكنى . ولكن الله خلق عوالم متعددة على الأقل بعدد ما نسميه النجوم.

وإذا بحثـنا فـي العـالم الـذي وهبه الله لنا بوصفه جزءا من نسق الخلق اللامحـدود ، فإنـنا نجد كل جزء منه الأرض الماء والهواء حولها ممتلئ مزدحم بالحياة من الحيوانات والحشرات التي لا يمكن للعين المجردة رؤيتها دون مساعدة الميكروسكوب. بل أن كل شجرة وكل نبات وكل برعم يستخدم ليس بوصفه مأوى فقط ولكن بوصـقه عالما لجنس لا عدد له من المخـلوقات . فلا يوجد جـزء من الأرض غير مشغول ومن ثم لا يمكن افتراض أن الفراغ اللامحدود فضاءا مجردا وقفرا أبديا ، لأن هناك ملايين العوالم أوسع وأوسع من عالمنا وكل منها يبعد عن الآخـر ملاييـن الأميال ... والسبب الذي جعل الخالق يخلق هذه العوالم المتعددة والتـي يشـكل كوكبنا واحدا منها هو سعادة البشر. وتفسير ذلك يستلزم النظر في نسـق أو نظـام العالم . ليدرك الإنسان الفائدة العظيمة التي تعود عليه نتيجة خلق الخالق عوالم متعددة. فالخالق لم يخلق شيئا عبثا، ويجب أن يكون الاعتقاد أن تنظيم العالم وبنائه على نحو ما هو عليه من العوالم المتعددة إنما هو لمصلحة الإنسان . وهـذا هو ما نشعر به من الخبرة حيث المدرسة الكونية للعالم تفتح أبوابها للكل . فالمعـرفة العلمية بالآلة الكونية ظاهرة مكشوفة . ولكننا ننسى التأمل والتفكير في بـنائها ونظامها وحركاتها . فهي كلمة الله وأعماله في الخلق ، المقدم من عند الله لحواسنا وعقلنا . فنسق الدين الحق هو الذي يكون متسقا وكلمة الله التي نمسك بها في أعماله أو في مخلوقاته) .[1]

ولمـا كـان تومـاس بين يقول بعوالم متعددة ويرى الكون لا محدودا فمن الضروري أن تكون الوسائل المحققة لأي غاية متكافئة وتحقيق تلك الغاية ، وحيث أن ثمـة اختلاف بين حكمة الإنسان وقوته المتناهية وحكمة الله وقوته اللامتناهية . لذلك فإن الإنسان معرض للفشل في تحقيق غاياته باعتبار أن قدراته الطبيعية وقوته غـير كافية لتحقيق الغرض أو الغاية بشكل مناسب . ولكن من المستحيل على الله بقوته وحكمته اللامتناهية أن يفشل كما يفشل الإنسان لأن الوسائل المستعملة متكافئة

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.67-70.

والغايـــة أو متناســبة معهـــا).[1] لذلك عندما يوحي الله برسالته إلى كل الأمم من أقصـــاها إلى أقصاها فوسيلة البيان عن نفسه تكون في شكل عالمي أو كوني يتكافأ وتحقيق تلك الغاية . (فالخلق كلمة الله الحقيقية التي يجب التمسك بها ، والتي هي موجـــودة دائما ، كلمة الله التي لا تخدعنا ويعلن الخلق عن قدرة الله ويبرهن على حكمته ودليل خير الله وأريحيته ... فالخلق هو اللغة العالمية و الكونية لا مجال فيه لـــتعدد اللغـــات وأخطاء الترجمات ، التي تتعرض معها كلمة الله للمحو أو التغيير والتبديل).[2]

فـــالخلق هـــو تلك اللغة العالمية التي يستعملها الله . وفي لغة الخلق يمكن أن تـــتحد كـــل تصوراتنا وأفكارنا عن كلمة الله لأن لغة الخلق لغة مستقلة عن اللغات الإنسانية الكثيرة ، ويستطيع كل إنسان قراءة لغة الخلق وهي لغة لا يمكن أن تنسى أو تتغـــير أو تموت . فهي لغة لا تعتمد على إرادة الإنسان بل على إرادة القدير ، هي لغة تعم أرجاء الكون من مكان إلى مكان تبشر كل الأمم والعوالم أنها كلمة الله تكشف أمام الإنسان كل ما هو ضروري ليعرف الله ... من تأمل قدرته اللامحدودة علـــى الخلق ، وتأمل حكمته في النظام الثابت الذي بواسطته الكل محكوما . ونرى أريحيته وكرمه في الوفرة التي يملأ بها الأرض ، وندرك رحمته وعفوه في عطائه الوفير حتى بدون شكر . هذا هو كل ما نحتاجه لمعرفة الله هو لغة الخلق . فالبحث عـــن الله لا يكون في الكتب المسماة مقدسة التي صنعتها يد الإنسان بل بالبحث في الكـــتاب المقـــدس المسمي " الخلق ").[3] وحي حقيقي لكل البشر هو اللغة العالمية التي يفهمها كل إنسان.وأساس للدين الوحيد الحق الذي هو ليس مبتدعا والذي يملك في داخله كل دليل الألوهية الحقيقة. دين بسيط خالص هو التأليه الطبيعي Deism ، إنـــه دين البشرية الأول وربما يكون الدين الأخير الذي يعتقد فيه الإنسان)[4]. هو

---

1 -THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.39.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.91.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.40-41.

4- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.249.

التأليه الطبيعي Deism ويعني الاعتقاد في الله الواحد الحق ، ومحاكاة سمته الأخلاقية في ممارسة ما نسميه الفضائل الأخلاقية والتي عليها ترتكز كل آمال الإنسان وسعادته).[1]

يعلمنا التأليه الطبيعي وبدون خداع أن الخلق كلمة الله الحقيقية ، ودليل وجوده وثبات قدرته . بالبحث والتأمل في مخلوقات الله نستطيع أن نثبت وجود الله . ويأخذ توماس بين بمبدأ العلية ، ويجعله أساسا الدليل على وجود الله ويقول : أعرف أنني لم أخلق نفسي إلا أنني موجود ، وبالبحث في طبيعة الأشياء الأخرى لا نكتشف أي شيئا يمكن أن يكون خالقا لنفسه، وملايين ملايين الأشياء موجودة وهي تدلني إلى نتيجة إيجابية ناتجة من هذا البحث هي وجود قوة أسمى بالنسبة لكل هذه الأشياء ، وأن هذه القوة هي الله .

ورغم أن توماس بين يثبت وجود الله إلا أنه يرى أن **السؤال على صفات الله من الصعب الاجابة عليه** . هل نستطيع معرفة كمال القدير ؟ والإجابة لا ، ليس فقط بسبب أن قوة القدير وحكمته التي أعلنها في بناء الخلق هي بالنسبة لي غير مفهومة. وهذا البيان بقدر عظمته ربما يكون ليس إلا إعلانا بسيط عن تلك القوة اللامحدودة والحكمة التي بواسطتها ملايين العوالم الأخرى المخلوقة غير المرئية بالنسبة لي سواء في مسافاتها أو وجودها المستمر ... لذلك يرى توماس بين أن السؤال عن وجود الله يختلف عن السؤال عن صفاته. العقل يستطيع أن يكتشف وجود الله ولكنه يسقط في تقصير لا نهاية له في اكتشاف الكل الآخر)[2].

نقول أن الله هو السبب الأول ومن الصعب تصور ماذا يكون السبب الأول . قد يبدو صعبا تصور أن المكان ليس له حدودا أو ليس له نهاية ، ولكن الصعوبة الأعظم هو تصور النهاية . إنها صعوبة تتجاوز قدرة الإنسان على تصور البقاء والدوام الأبدي لما نسميه الزمان . أي استحالة تصور الزمان عندما لا يكون هناك زمان)[3].

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II P.216.
2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.44.
3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.41.

وكــل شــيء نشــاهده يحمل في ذاته دليل داخلي أنه ليس خالقا لنفسه، وفي ضـــوء هذا المبدأ ينشأ الاعتقاد بأن السبب الأول موجود سرمدي من طبيعة مختلفة كلــية عــن أي وجود مادي نعرفه . وعن أي قوة بها توجد كل تلك الأشياء . هذا السبب الأول هو الله. عن طريق العقل فقط يستطيع الإنسان إثبات وجود الله ، وإذا استبعدنا العقل لا يكون الإنسان قادرا على فهم أي شيء ، وتكون كلمة الله في عين الحصان وعين الإنسان سواء .

هــذا التصور للألوهية كتأليه طبيعي يعبر عنه كتاب أيوب والمزمور التاسع عشــر حيث يعتبران الخلق كلمة الله الحقيقية.ويعرض توماس بين صياغة أديسون Addison الشعرية للمزمور التاسع عشر في الإنجليزية[1] . ويعلق عليها ماذا يريد

---

١ القبة الزرقاء الرحبة المرتفعة .
مع كل سماء أثيرية زرقاء.
والسموات المزركشة ، صورة لامعة.
تعلن عن أصلها العظيم.
ولا تكل الشمس من يوم ليوم.
قوة خالقها زائعة.
ومنتشرة في كل أرض.
عمل يد القدير.

وحين ينشر المساء ظلاله.
يحكي القمر قصة عجيبة .
ليلا إلى تاسع أرض.
يردد قصة ميلادها.
حيث كل النجوم تدور حول مشعلها.
وكل نباتات في تحولها.
تثبت بشائرها كلما تدور.
وتنشر الحقيقة من قطب إلى قطب.

ماذا رغم صمت الكل الفريد.
يتحرك حول هذه الكرة المظلمة الأرضية.

الإنســـان أن يعــرف أكثر من أن القوة الإلهية خلقت هذه الأشياء . إنها قوة قديرة قدرتها كلية شاملة . دع الإنسان يعتقد ومن المستحيل أن ترده إذا هو سمح لعقله أن يفعل ودوره في الحياة الأخلاقية تابع بالطبع .

هــذا التألــيه الطبيعي هو دين العالمي أو دين الكوني المؤسس على الوحي الحقيقــي أو الخلــق . وفـــي تأسيس الدين على الخلق تكون الفلسفة الطبيعية هي اللاهوت الحق .

● ● ●

- وماذا رغم لا صوت حقيقي ولا صحيح.
وسط نجومهم المشعة موجود .
في مسمع العقل الكل مبتهجا.
وصوت جليل كلي بعيد.
اغنية أبدية كما يلمعون.
اليد التي خلقتنا يد مطلقة الهبة.

الفصل الثاني

الفلسفة الطبيعية اللاهوت الحق

يــري توماس بين أن الفلسفة الطبيعية هي اللاهوت الحق ويبدو نسق الإيمان المسيحي نوعا من الإلحاد Atheism أو نوعا من الإنكار الديني لله.يعترف بالاعتقاد فـــي الإنسان أكثر من الاعتقاد في الله . صحيح إنه نسق مركب من مذهبي : تأليه الإنســـان Manism والتأليه الطبيعي Deism . وعلى الرغم من ذلك فإن هذا النسق بوصـــفه أقـــرب إلى الإلحاد يكون كنور الغسق بالنسبة للظلام . إنه نسق يقيم بين الإنسان وخالقه جسما معتما هو " المخلص أو المنقذ " كما يدخل القمر بعتامته بين الأرض والشـــمس.وينـــتج عن هذه الوسائل الدينية وغير الدينية كسوف الشمس ، ويضع الكسوف كل فلك العقل في الظل... وإثر هذا الكسوف ينقلب كل شيء رأسا على عقب وتقوم الثورات ومن بينها ثورة أحدثت ثورة في اللاهوت، وتلك الثورة تسمي الآن الفلسفة الطبيعية natural philosophy ،وتضم الفلسفة الطبيعية كل دائرة العلـــم ويشـــغل فيها الفلك موقعا رئيسيا . وبها تكون دراسة قدرة الله وحكمته في أعمالـــه ومخلوقاتـــه وذلـــك هـــو اللاهوت الحق . الذي تخلى عنه نسق اللاهوت المسيحي . رغم أن كتاب أيوب Job والمزمور التاسع عشر يوافقان نسق اللاهوت الأصـــلي حيث تحمل تلك الخطب اللاهوتية دليلا داخليا يثبت أن التأمل في أعمال الخلـــق وقوة الله وحكمته واضحة بينة في كتاب أيوب والمزمور التاسع عشر).(١) ولكـــن هـــذه الكتـــب في رأى توماس بين كتابات وثنيه ترجمت إلى العبرية كما أوضحنا من قبل .

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.45-46.

وبفضـــل الـــتأمل والتفكـــير في أعمال الخلق وقوة الله وحكمته في مخلوقاته يكتشـــف البشر المبادئ التي بموجبها تتأسس العلوم الآن(فمبادئ العلوم لها مصدر إلهـــي واحد بعينه)[1] (هي مبادئ سرمدية من أصل الهي ، أساس كل علم موجود في العالم، ويجب أن تكون أساس علم اللاهوت.إننا نستطيع أن نعرف الله من خلال أعماله فقط ، ولا نملك أي تصور عن أي صفة واحدة إلا أن عن طريق المبدأ الذي يـــؤدي إليها . ولا نملك إلا فكرة مشوشة مختلطة عن قدرته إذا لم يكن لدينا وسيلة لفهـــم شـــيء مـــا عن الله في لا محدوديته . ونحن ليس لدينا أي فكرة عن حكمته إلا عـــن طريق معرفة النظام والطريقة التي بها يفعل.فمبادئ العلم تؤدي إلى هذه المعـــرفة ، لأن خـــالق الإنسان هو خالق مبادئ العلم. وخلال هذا الوسط يستطيع الإنســـان أن يرى الله كما لو كان وجها لوجه . ويستطيع كل إنسان موهوب بقدرة الـــرؤية أن يشـــاهد في نظرة واحدة ، وأن يتأمل عن قصد تركيب الكون بحركاته وكواكـــبه المـــتعددة ويتأمل علة وسبب اختلاف مظهرها والنظام المحقق أو الثابت الـــذي يتحركون فيه حتى بالنســـبة للنجم المذنب البعيد. فترابطها واعتمـــادها كل علـــى الآخـــر . وبمعـــــرفة نظام القوانين أو المبادئ التي تأســـست المخلوقات ونظمـــت بواســـطتها تكون معرفة الخالق والحاكم والمنظم للكل . ويدرك الإنسان عـــندئذ مـــا يجـــاوز تماما اللاهوت الكنسي . يدرك قدرة الخالق وحكمته وعظمته وأريحيته)[2].

فالإنســـان يستطيع أن يبرهن على هذا المشهد الحقيقي ويستدل عليه لأن لديه معرفة بالمبادئ التي بموجبها تشكل الخلق. وكون الأعمال العظيمة يمكن أن تكون ممـــثلة في نماذج والكون يمكن أن يكون متمثلا بنفس الوسائل.فالمبادئ نفسها التي بها تقاس البوصة أو القدم من الأرض تقيس أيضا ملايين من الامتداد أو المسافات، وقطر الدائرة لبوصـــة له نفس الصفات الهندســـية كالدائرة المحددة للكون . ونفس صـــفات المثلـــث التـــي نرسمها على الورق تسري على سفينة تسير في المحيط،

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.49.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.251.

وعندما تطبق على ما يسمي بالأجسام السماوية تحدد الدقيقة الزمنية للكسوف مع أن هذه الأجسام تبعد عن الأرض ملايين الأميال.وذلك لأنها مبادئ أصلية إلهية تشكل بموجبها الخلق وعلى الإنسان أن يتعلمها ليس من التوراة والكنيسة ،ليس من موسى ولا الأنبياء ولا يسوع المسيح ولا تلاميذه لأنهم لا يعلمون الإنسان شيئا .إننا نتعلم من الله المهندس الأعظم والفيلسوف الأول ، والمعلم الحقيقي لكل علم)[١]

وفي مشاهدة المخلوقات وتأملها يزداد عقل الإنسان رقيا بمعرفة المبادئ. يتحد دينه وعبادته مع تقدمه بوصفه إنسانا يستخدم مبادئ الخلق بالنسبة لكل شيء في العلم والزراعة والفنون ، ويتعلم من مبادئ الخلق الكثير عن الله . وعن الشكر الذي يدين به لله أكثر من أي موعظة كنسية لاهوتية يستمع إليها الإنسان من قصص خرافية وعقائد تثير الازدراء)[٢] من نصوص التوراة والعهد فإذا وجب على الإنسان أن يعظ لندعه يعظ بشيء ما يثقف ويعلم بمعرفة مبادئ العلم في الخلق . في كل جزء من أجزاء العلم سواء أرتبط بهندسة الكون أو نظم حياة الحيوان والنبات أو مع موضوعات الجماد . تكون نصوصا للعبادة بالنسبة للفلسفة وامتنانا وشكرا لتقدم الإنسان. إنها ثورة في نسق الدين تأخذ وضعها حيث ينبغي أن يكون كل واعظ فيلسوفا ، وتصبح كل دار للعبادة مدرسة للعلم ... بينما التخيلات الوحشية والمجدفة التى صورت القدير في أديان الوحي . جعل اليهود القدير سفاحا قاتلا للنوع الإنساني . وجعل المسيحيين يسوع المسيح مقتولا ليؤسس دينا جديدا ليحل محل الدين اليهودي . والقبول بهذه الأشياء يعني التغير والنقص في قدرة القدير وحكمته ، وتغير الإرادة يكون نقصا في الحكم.غير أن الفيلسوف يعرف أن قوانين الخالق لم تتغير بالنظر لمبادئ العلم وصفات المادة . فلماذا إذا نفترض أنهم متغيرين بالنظر إلى الإنسان؟)[٣]

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.253.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.252

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II,P.255.

وســيرى الإنسان عندئذ أن كل معرفة الإنسان بالعلم وكل فن يساهم بوجوده فـــي حياة الإنسان وراحته منبعه هذه المبادئ السرمدية الإلهية فهي أسس كل علم وفن . وبهذا يعتبر توماس بين العلوم هي تطبيق للمبادئ التي يتم اكتشافها بالتأمل والتفكير في أعمال الخلق الإلهي .

وهذا على خلاف ما يقوله النظام المسيحي أن العلوم اختراعات إنسانية. يري توماس بين أن العلوم هي تطبيق للمبادئ ، وكل علم في أساسه يقوم على نظام من المــبادئ ثابــت لا يمكــن تغيــيره كتلك المبادئ التي وجد الكون منظم ومحكوم بهـــا.فالإنســـان لا يمكنه أن يخترع أو يصنع مبادئ وإنما هو فقط يكتشفها . فمن الخـــداع أن نســـمي العلوم اختراعات إنسانية.إن المبادئ العلمية التي بفضلها مثلا يكون الإنسان قادرا على معرفة وحساب متي يحدث الكسوف الشمسي لا يمكن أن تكون من اختراع الإنسان . فالإنسان لا يمكن أن يخترع شيئا أبديا وثابتا . ومبادئ العلم التي يوظفها لهذه الأغراض يجب أن تكون ضرورية . وبوصفها قوانين أبدية ثابــتة تــتحرك بواســطتها الأجسام السماوية ... فالمبادئ العلمية التي يستخدمها الإنســـان ليحصـــل على معرفة سابقة عن كسوف الشمس أو أي شيء آخر متعلق بحركة الأجسام السماوية متضمنة بشكل أساسي في جزء من العلم الذي يسمى علم المساحة أو حساب المثلثات ... وهذا العلم عندما يستخدم لدراسة الأجسام السماوية يســـمى الفلـــك . وعـــندما يطبق على مسار السفن في المحيط يسمي علم الملاحة .وعـــندما يســـتخدم في بناء الأشكال يسمي الهندسة . وعندما يستخدم في التصميم والبناء يسمى العمارة أو هندسة العمارة . وعندما يستخدم لقياس أي جزء من سطح الأرض يسمي علم المساحة وتخطيط الأراضي . وفي النهاية تكون روح العلم هي حقيقة أبدية متضمنة في البرهان الرياضي الذي يتكلم عنه الإنسان ومدى استعماله يكون غير معروف).[1]

وربما يقال إن الإنســـان يستطيع أن يصنع مثلثا كما يستطيع أن يصـــنع آلة ميكانيكية ولتكن الرافعـــة . فالمبدأ الذي تفعـــل الرافعة وفقا له يختلف عن الرافعة

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.48.

كآلــة ، فهو مبدأ موجود حتى إذا لم تكن الآلة موجودة ... الإنسان لا يستطيع أن يصـــنع مـــبادئ ، ولكـــن من اكتسابه المعرفة بالمبادئ يكون قادرا على استعمالها بالنســبة لأشـــياء الأرض والموجودات الســماوية . وعندما يكون الإنســـان قادرا علـــى اســـتخدام تلك المبادئ وتطبيقها هنا يقال إن كتاب قوانين آخر لكلمة الله قد اكتشـــف . فمعرفة المبادئ هي دراسة اللاهوت الحق ، فاللاهوت الحق هو الفلسفة الطبيعية).[١]

لقد نشر القدير مبادئ العلم في بنائه للكون وأبدع الإنسان ليدرسها ويحاكيها . وكـــأن الله يقول لسكان هذا الكوكب " إنني خلقت الأرض من أجل الإنسان ليقطن فيها . وإنني جعلت السموات مرصعة بالنجوم مرئية لتعلم الإنسان العلم والفنون . ليســـتطيع أن يوفر راحته الخاصة ، ويتعلم من أريحيتي بالنسبة للكل ، وأن يكون رحيما ... في ماذا يستعمل الإنسان عينيه الموهوبتين بقوة البصر إذا لم تكن لتعلمه شـــيء ما من تأمل المسافات اللامحدودة في عوالم لانهاية لها في محيط المكان . ومن تأمل الموضوع يدرك الإنسان أن لا شيء خلق عبثا . وخلاف هذا تكون قوة الرؤية بلا جدوى لا تعلم الإنسان شيئا).[٢]

وحيث أن قوة الله وحكمته بينة واضحة في بناء العالم وفي كل مخلوقاته وفي كل أعمال الله في خلقه . فالمعرفة المتقدمة يكتسبها الإنسان بشكل مستمر بمساعدة العلـم. ولكـــن النسق المسيحي للإيمان أوقف التعليم على الدراسة الميتة واللغات الميـــتة .لذلـــك لم يرفضوا تدريس العلم في التعليم المسيحي فحسب بل اضطهدوا أيضا دراسة العلم والعلماء.[٣] لذلك ارتبط عصر الجهل بالنظام المسيحي وبدلا من تأســيس الإيمـــان علـــى تـــأمل الخلق ومعرفة العلم والفلسفة الطبيعية قال النظام المســـيحي بـــأنواع أخـــرى من الأساطير ، وتخلى عن العلم وأحدث شق أو فجوة

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.49-50.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P.52-53.

٣- يذكـــر توماس بين في " عصر العقل " صور من اضطهاد الكنيسة دراسة العلم والعلماء منذ القرن السادس عشر ليؤكد بها أن عصر الجهل مرتبط بالنظام المسيحي.

واسعة استغرقت مئات السنين ولم تعد المعرفة ولا العلم في تقدم يتناسب مع الأصل القديـم الموجود قبل قيام النظام المسيحي الذي وسع الفجوة بين النهضة في القرن السـادس عشر وعلوم القدماء . وبدت الفجوة كصحراء رملية شاسعة لا تبدو فيها شـجيرة واحـدة تحجـب الرؤية عن التلال القديمة الخصبة.ولكن دوام الحال من المحـال فهذا الجهل الطاغي في النظام المسيحي تحطمت أولي حلقاته عن طريق الإصـلاح الديني بواسطة مارتن لوثر وكل المصلحين الآخرين حيث بدأت العلوم تزدهـر وتـتحرر وهذا فقط هو الخير العام الذي فعله الإصلاح الديني بالنظر إلى الخـير الدينـي . وبالـرغم من الإصلاح ما زالت الأسطورة مستمرة حيث ظهر البابوات القوميون عقب سقوط بابا مملكة المسيحية .

● ● ●

الفصل الثالث

الخلود وعي الوجود

وعلـــى العكس من اعتبار قيامة الجسد نفسه دليلا للخلود ، تبدو قيامة الجسد عـــند توماس بين دليلا ضد الخلود فيقول " إذا مت في الحال في هذا الجسد وقمت مـــرة أخـــرى فـــي الجسد نفسه الذي أحي فيه ، فالجسد عينه دليل افتراض أنني سأموت مرة أخرى . فالقيامة ليست أكثر أمنا لي ضد تكرار إعادة الموت من نوبة تشـــنج عندما تنتهي تؤمني ضد نوبة أخرى . إن الاعتقاد في الخلود يتطلب فكرة أســـمى مـــن الفكرة المتضمنة في الاعتقاد الكئيب للقيامة ... ووعي الوجود فكرة معقولة جدا ، هي أنه يمكن أن يكون لنا حياة أخرى ، والاستمرار في ذلك الوعي هـــو خلود . فوعي الوجود أو معرفة أننا موجودون ليس بالضرورة محددة بشكل بعيـــنه ولا بمادة بعينها حتى في هذه الحياة . فنحن لا نملك في كل الحالات الشكل عيـــنه ولا في أي حالة تكون المادة عينها التي تتألف منها أجسادنا من عشرين أو ثلاثيـــن سنة ماضية . إلا أننا نعي وجود الأشخاص عينهم . أما الأرجل والأذرع وكل ما يصنع تقريبا نصف الهيكل الإنساني ليس ضروريا للوعي بالوجود . وهذه الأرجـــل والأذرع ربمـــا تفقد ولكن وعينا الكامل بالوجود باقيا . وحتى لو زودنا بأطـــراف مصنعة بديلة عن المفقودة فإن هذا لا يغير وعينا بالوجود . وباختصار نحن لا نعرف كم القليل من تركيبنا ، وكيف يكون رائعا ذلك القليل الذي يخلق فينا هـــذا الوعي بالوجود مجاوزا لكل هذا ، مثل لب الخوخة مميز منفصل عن الشحم النامـــي في الخوخة ... وعندما نفكر وننتج فكرا كما أنتج الآن أفكارا وأنا أكتب . فالفكر قادر على أن يصبح خالدا ، ومن ثم يكون إنتاج الإنسان فقط هو الذي يملك قـــدرة الخلود ... وإنتاج الفكر بشكل خاص . وطباعة الفكر وإعادة طباعته آلاف المرات في أي مادة تكون كتابته . فالفكر سرمدي وله القدرة على البقاء . دون أن يصـــيبه ضـــرر ولا يتأثر بتغير المادة المكتـــوب عليها حجرا أو خشـــبا أو ورقا

ولا بطــباعة أولي أو ثانية . فإذا كانت الأشــياء المنتجة أو الفكر المنتج له قدرة علـــى الخلــود فهي أكثر من رمز للقوة التي أنتجته ، والتي هي ذات الشيء عينه بوصفه وعي الوجود.ووعي الوجود يمكن أن يكون خالدا أيضا ومستقلا عن المادة التي كان ارتباطه الأول بظهوره فيها كفكر مطبوع أو مكتوب . وليس من الصعب الاعــتقاد فــي فكرة واحدة أكثر من الأخرى.ويمكن أن نري أن واحدة من الأفكار فكــرة صـــحيحة.وإن الوعي بالوجود مستقل عن شكل بعينه أو مادة بعينها. وهذا ظاهــر بوضـــوح لحواسنا في أعمال الخلق.نظرا لأن حواسنا قادرة علي تلقي هذا الدليل أو البرهان . فجزء كبير من خلق الحيوان يعظنا أو يكرزنا أفضل من وعظ بولــس عــن الاعــتقاد في الحياة الآخرة أو الخلود . حياة الحيوان البسيطة تشابه الأرض والسماء وتتضمن حالة الحاضر والمستقبل . وربما تكون هكذا معبرة عن الخلود في المنمنم miniature .والأجزاء الأعظم جمالا في الخلق بالنسبة لعيوننا هي الحشــرات الطائــرة ، وهي لم تكن حشرات طائرة في الأصل ولكن اكتسبت هذا الشكل من البهاء والتألق الذي لا يضاهي بفعل التغيرات التطورية . فالدودة قبل أن تــتطور إلــى فراشة تسمى أسروع بطيئة زاحفة من يوم يمر إلى أيام قليلة . ومن شــكل مــترهل وحالة تشبه الموت . ثم يظهر في التغير التالي ويبرز كل عظمة وجــلال الحياة منمنم miniature ، فراشة باهرة لا يبقي فيها أي تشابه مع المخلوق الأول ، فكل شيء تغير . وكل قوته هي جديدة، والحياة بالنسبة له شيء آخر، إننا نستطيع أن نتصور أن الوعي بالوجود هو عينه أو نفسه في حالة الحيوان هذه كما كــان في حالته من قبل . فلماذا إذا يجب أن أعتقد أن قيامة الجسم نفسه ضرورية ليستمر بالنسبة لي وعي بوجود الحياة الآخرة؟[١]

يقــول تومـــاس بيــن على أساس الاعتقاد في أن الخلق هو كلمة الله الحقيقية والصـــحيحة . الخلــق لا يظهر أو يبين لنا أن هذا الشيء ربما يكون هكذا ولكنه يكشــف لــنا أن هذا الشيء هو هكذا.وليس معني هذا أن وعي الوجود محدود في شــكل بعينه. ومن ثم فالاعتقاد في الحياة المستقبلية هو اعتقاد عقلاني مؤسس على

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.232-234.

وقــائع مرئية في الخلق.لذلك ليس من الصعب الاعتقاد أننا سنجد في الحياة الآخرة حالة أفضل من الحالة الحاضرة. أفضل من حياة الدودة التي تصبح فراشة وتخرج مــن المذبلة إلى المحيط الجوي واقعة حقيقية[١]. أما بالنسبة للرطانة المشكوك فيها المنسوبة لبولس في الفصل (١٥) من الرسالة الأولي لأهل كورنثوس ، والتي تشكل جزءا من خدمة الدفن عند بعض الشيع المسيحية . وهي بوصفها خالية من المعني كــدق جرس الجنازة ، فهي لا تفسر شيئا يفهم. وهي لا توضح شيئا للخيال ولكن تــترك القارئ ليجد أي معني هو يستطيع أن يجده. فيقول : " كل جسد ليس جسدا واحــد ا. يوجــد جسد واحد للبشر وآخر للبهائم وجسدا آخر للسمك وآخر للطير." ومــاذا بعد ؟ لا يقول شيئا . ويوجد أيضا (هو يقول) أجسام روحانية ، وأجسام ترابــية . والمجــد الروحاني شيء والمجد الترابي شيء آخر . " وماذا إذا بعد ؟ لا يقول شيء . ماذا يكون الاختلاف ؟ هو لم يخبر بشيء أو لم يقل شيء . ويوجد (هــو يقول) مجد واحد للشمس ، ومجد آ خر للقمر ، ومجد آخر للنجوم يختلف عــن النجم الآخر في المجد، بدلا عن المسافة. ومن الممكن أن يخبرنا أن القمر لم يشــرق مضــيء أو لامع كالشمس . كل هذا ليس شيئا أفضل من رطانة المشعوذ الــذي يلــتقط عــبارات هو لا يفهمها ويريك البشر السذج الذين أتوا إليه ليخبرهم بحظهم. فالكهنة والمشعوذون يتاجرون نفس التجارة "[٢].

ويريد بولس أحيانا أن يكون طبيعيا ويثبت عقيدة القيامة من مبادئ التنامي . " الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت "وربما يرد عليه فرد بلغته الخاصة ويقول له أنت أحمــق يا بولس "لان البذور عندما تموت في الأرض لا تنمو إطلاقا . وإن البذور الحية هي فقط التي تنمو وتنتج المحصول . والاستعارة في هذا الرأي ليست تشبيها هي تعاقبا وليست قيامة . فتطور الحيوان من حالة واحدة إلى أخرى كتطور الدودة

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.234.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.235.

إلى فراشة يوافق القضية، ولكن حالة القمح أو البذور لا توافقها ويظهر بولس فيما قاله أحمق"[1] .

وعلى النقيض من مواعظ بولس يقول توماس بين إنني لا أزعج نفسي حول شكل الوجود في المستقبل . وأنا مسرور بالاعتقاد عن اقتناع إيجابي أن القدير الذي أوجدنـــي قادر على أن يجعلني وجودا مستمرا في أي شكل وبأي طريقة هو يريد ســـواء فـــي هـــذا الجسم أو بدونه . ويبدو الأكثر احتمالا بالنسبة لي أنني سأستمر موجودا بعد هذه الحياة أفضل مما أنا موجود الآن وقبل أن يبدأ الوجود .

● ● ●

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II , P.236.

الفصل الرابع

مبادئ الأخلاق في ضمير كل إنسان

عـندما يكـون الإنسـان ملتزما بشكل كامل قوي بالاعتقاد في الله فإن حياته الأخلاقـية تكون منظمة بقوة على أساس هذا الاعتقاد.وهو يقف في خشية من الله ومن نفسه ولا يفعل شيئا يمكن أن يكون خفيا . وبإعطاء هذا الاعتقاد كامل فرصته مـن القوة فإنه من الضروري أن يفعل وحده هذا هو دين التأليه الطبيعي"(١) . فيه يقـوم الواجـب الأخلاقـي للإنسان في محاكاة الخير الأخلاقي والأريحية الإلهية الواضـحة فـي الخلق نحو كل مخلوقاته. ونرى الخير الإلهي نحو كل البشر مثالا يستلزم من كل البشر ممارسته كل نحو الآخر. ومن ثم كل من الظلم والانتقام بين الإنسان والإنسان ، وكل شيء من القسوة على الحيوانات يكون تعدى على الواجب الأخلاقي "(٢).

إننـي أعـتقد فـي الله الواحد ليس إلا وأتمنى السعادة فيما بعد هذه الحياة . وأعـتقد فـي المساواة بين البشر . وأعتقد أن وجباتي الدينية تقوم على فعل العدل والمحبة والرحمة والعمل على أن نجعل زملاءنا من المخلوقات في سعادة "(٣).

الخلـق والكـون الـذي نراه ونشاهده يعظنا بوجود القادر القدير الذي يحكم ويـنظم الكل بقوة لا نهاية لها ... أما بالنسبة للأخلاق فإن المعرفة بها موجودة في

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.249.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I,P,91.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.6.

ضـــمير كـــل إنسان. ووجود قدرة القدير مثبتة واضحة مع إننا لا نستطيع تصور طبيعتها، وطريقة وجودها فذلك مستحيل علينا . ولا نستطيع تصور كيف أتينا هنا أنفسنا ، إلا أننا نعرف كواقعة إننا هنا. وإننا يجب أن نعرف أن القوة أو القدرة التي جعلتـــنا فـــي الوجود تستطيع إذا أرادت أن تدعونا إقرار الطريقة التي فيها نعيش هنا ... وتأمل العقل لهذا الاعتقاد بوصفنا أناس فاعلين أحرار يرى أن الأحمق فقط ولـــيس الفيلســـــوف أو الإنسان الفطن هـــو الذي يمكن أن يعيش وكأن الله غير موجود "[1].

ولكـــن وفقا لتخطيط الثالوث المسيحي (الأب ، والابن والروح القدس) وهو اعـــتقاد مخـــتلط بقصـــة خرافـــية، أصـــبح الاعتقاد في الله الواحد اعتقادا واهيا ضعيفا.فتعدد العقائد يفعل كتقسيم للاعتقاد وتقسيم أي شيء هو إضعاف له . والدين بهـــذا الأسلوب دين شكلي وليس دينا للمبادئ ، ويقصي الأخلاق ليضع مكانها شيئا خيالـــيا يســـمي إيمانـــا فيه يكون الإنسان واعظا بدلا عن الله، وفيه القتل موضوع للشـــكر .. ويمتدح يسوع المسيح لكونه مقتولا. مواعظ متبلدة لا معني لها يخلطون إله الخلق بإله المسيحية المتخيل ، ويعيشون كما لو أنه لا يوجد إله "[2].

مـــن الـــلازم لكل إنسان يحترم الخالق ، ويرغب في تقليل الكوارث وإزالة أســـباب الظلـــم الواقع على البشر استبعاد كل أفكار الدين الموحي بوصفها خداعا وعدم تقوى . ماذا علمتنا التوراة ؟ اغتصاب ونهب وعنف وقتل . ماذا علمنا العهد الجديد ؟ علمنا أن نعتقد أن القدير أقترف الغواية بالمرأة المخطوبة للزواج.والاعتقاد فـــي هـــذه الغواية يسمى إيمانا. وما جاء في التوراة من بعض المفاهيم الأخلاقية الخـــيرة أي إنسان مؤهل ليكون مشرعا يمكن أن يشرعها بنفسه دون أن يلجأ إلى

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.246-247.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.248.

تدخـل روح مجاوزة للطبيعة . ومن الضروري استبعاد الزعم القائل أن الله يحمل خطايا الآباء على الأبناء لأنه قول مناقض لكل عدالة أخلاقية "[1].

أمـا بالنسبة للشذرات الأخلاقية والتي هي بشكل عرضي غير منظم متناثرة فـي هـذه الكتب المقدسة لا تشكل جزءا من هذا الشيء المسمي دين الوحي . إنها أوامر طبيعية للضمير . وبها يترابط المجتمع معا والتي بدونها لا يمكن للمجتمع أن يوجد.وهي تقريبا بعينها في كل الأديان وكل المجتمعات.فالعهد لم يعلمنا شيئا جديدا حول هذا الموضوع ... ومبدأ عدم مقابلة الأذى بالمثل والموجود سابق على العهد الجديـد فـي كـتاب الأمثال في (٢٥ :٢١)" إن جاع عدوك فأطعمه خبزا ، وإن عطش فاسقه ماء ". غير أنه لا يمكن لمبدأ أو عقيدة لا ترد الأذى بالأذى أن تكون جزءا من عقيدة اليهود . ولكن لكون هذا المبدأ وجد في الأمثال ، والأمثال منسوخة عـن الوثنييـن ومـنها تعلمهـا المسيح . ومن ثم فإن مواعظ المسيح على الجبل الموجودة في كتاب متى وفيها أشياء جيدة فهي أخلاق دعائية مدخلة عن الوثنيين . ولدى الوثنيين أفكار واضحة نقية بالنسبة للعدالة والأخلاق أكثر مما وجد في العهد القديـم أو العهد الجديد . وإجابة صولون (الذي عاش في سنة ٥٠٠ ق.م تقريبا) السـؤال عـن الحكومة الأعظم كمالا ، والتي لم تتجاوز إطلاقا بأي معني عصره بوصـفها تتضـمن مـبادئ أو قاعدة الأخلاق السياسية . يقول صولون " أقل أذى لأحقر أو أحط فرد يعتبر سبة أو اهانة للنظام ككل "[2].

والأمر الإنجيلي القائل " إذا صفعك إنسـان على خدك الأيمن فأدر له الخـد الأيسـر . " هـذا الأمـر هو قتل واغتيال للكرامة الإنسانية ... وحب الأعداء هو اعتقاد آخر من الأخلاق الدعائية ، ولا معني له . لأنه من اللازم ضـروريا على الإنسان بوصفه أخلاقيا أن لا ينتقم للأذى . ويكون ذلك خيرا بالمعني السياسي لأنه

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.9.

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.243.

لا يوجــد نهاية للثأر فكل يثأر من الآخر ويسمي ثأره عدالة . ولكن مواجهة الأذى بالحب إذا أمكن أن يحدث ربما يقدم مكافأة للجريمة. إلى جانب أن كلمة أعداء هي غامضــة وعامــة الاستعمال في القاعدة الأخلاقية . ولكن ينبغي أن تكون واضحة محـــددة .. مـــثل أن يكون الإنسان عدو الإنسان من الخطأ والتحيز في المعتقدات الدينـــية، أو فـــي السياسية . فالإنسان يختلف عن العدو في عمق الهدف أو القصد الإجرامـــي ويكون من المحتم علي الإنسان أن يكون في سلامة وسكينة وهدوء . ليكون في أقصي تحمل ولكن هذا الدافع خطأ لا يمكن أن يكون دافعا لحب الجانب الآخـــر. والقول أننا نستطيع الحب طوعا واختيارا وبدون دافع . هذا الحب بشكل أخلاقـــي وطبيعـــي مستحيل.وإننا نضر بالأخلاق بأن ننسب إليها واجبات مستحيل تحقيقها ، وإذا أمكن تحقيقها ربما ينتج شرا أو كما قيل من قبل يكون واجب الحب مكافـــأة للجريمة.فقاعدة الفعل كما نود أن نفعل لا تتضمن عقيدة أو مبدأ غريبا عن حـــب الأعداء ولا يوجد إنسان يتوقع أن يكون محبوبا من أجل جريمته أو من أجل عداوتـــه. والذين يعظون بهذا المبدأ أحبوا أعداءكم هم بشكل عام أعظم ظلمة. لأنه مبدأ منافق ومن الطبيعي أن يفعل المنافق عكس ما يعظ . لذلك يرى توماس بين أن دوره الخـــاص هـــو دحـــض هذا المبدأ واعتباره بوصفه أخلاقا دعائية زائفة غير حقيقية ... لأنه لا يكون إلزاما على الإنسان أن يكافئ فعل الشر بفعل الخير أو أن يـــرد بالخير على الشر وعندما يفعل يكون فعلا إراديا وليس واجبا . ومن السخف أيضـــا افتراض أن مثل هذا المبدأ يمكن أن يشكل أي جزء من دين الوحي . ونحن علينا أن نحاكي السمة الأخلاقية للخالق. بقوة التحمل لأن الخالق محتمل الكل وهذا المبدأ ربما يتضمن حب الإنسان ليس بكونه خيرا أو شريرا "[1].

السمة الحقيقية ليسوع المسيح هو أنه كان إنسانا فاضلا محبوبا.والأخلاق التي وعظ بها ومارسها نوع عظيم من الخير الأريحية ومساواة الإنسان . كما وعظ ضد

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.244-245.

مفاســد وجشع رجال الكهنوت اليهود ، وهو ما جلب عليه كراهية وحقد كل نظام الكهــنوت.ومع ذلك فهي تماثل نظم الأخلاق التي كان كنفوشيوس Confuaus يعظ بها ،وبعض فلاسفة اليونان لسنوات كثيرة قبل وجود المسيح "[١].

● ● ●

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.12-14.

الفصل الخامس

التأليه الطبيعي لا يتوافق ونظم الحكم الاستبدادية

ليس الاضطهاد والظلم الملمح الأصلي لأي دين إلا الأديان القانونية المؤسسة بالقانون ولهذا فإن التأليه الطبيعي لا يلبي أغراض وأهداف الحكومات الاستبدادية . الحكومـــات الاستبدادية لا تستطيع التمسك بالدين الحقيقي . هي تخلط الدين بالبدع الإنســانية وتجعل سلطتها الخاصة جزءا منه ، ولا ترد طمع الكهنة ، وفي تعاون الكهـــنة مـــع الحكومة الاستبدادية يصبح الكهنة والحكومة معا كيان النسق الديني . وهـــذا هو الذي يشكل الرباط السري للكنيسة بالدولة...فتخطيط الكنيسة وكل نظمها المبـــتدعة في الدين هو من أجل إبقاء الإنسان في جهل بالخالق على نحو ما تعمل الحكومـــة على إبقاء الإنسان في جهل بحقوقه.فأنساق الدين زائفة كنظم الحكومة، وهمـــا يعتمدان على الدعم المتبادل بينهما "[1]. ووحدة الكنيسة والدولة تخلق كيانا هجيـــنا لـــيس بقـــادر لا على التربية ولا على التنمية وإنما قادر فقط على التدمير ويســـمي الكنيســـة المؤسسة بالقانون . ومن ذلك الحيوان المختلط الوالدين انطلقت محـــاكم التفتيش في أسبانيا واشتعلت الحرائق في مزارع سميث . وأعيد توالد هذا الحيوان الغريب في إنجلترا فأعيد تجديد الضغينة والإلحاد بين السكان . ويمكن أن نـــري الآثار السيئة لاتحاد الكنيسة بالدولة على رخاء كل أمة . ولقد تنبهت فرنسا وأمريكا إلى خطورة وحدة الكنيسة بالدولة فألغت فرنسا ذلك المبدأ، وأسست أمريكا حقا عالميا للضمير ، وحقا عالميا للمواطنة " [2] . كما أسس الدستور الفرنسي الحق

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.249-250.

2- THOMAS PAINE,THE RIGHT OF MAN, Part II, Cambridge University Press, Cambridge,New York .1989.P.96.

العالمــي للضــمير وأبطل التسامح وعدم التسامح . فالتسامح عند توماس بين ليس ضــد عدم التسامح ولكن كلاهما طغيان ، الأول هو البابا مسلح بالنار والبارود أو هو الدولة والكنيسة . والثاني هو البابا بائعا للغفران أو هو الكنيسة والتجارة .

لذلــك فإن الثورة على نظام الحكم الاستبدادية تتواكب والثورة في نظم الدين والارتــباط المزيف بين الكنيسة والدولة أو بين الدين والدولة مهما كان وضع هذا الارتــباط عــند أهل الأديان المختلفة ، فإنه يحرم ويعاقب بقوة كل مناقشة للعقائد القائمــة والمبادئ الأولية للدين. وتلك الموضوعات لا يمكن إثارتها بحرية وانفتاح أمــام العــالم ، ولذلك حين يتغير نظام الحكم تصبح الثورة في نظم الدين لازمة . ويعود الإنسان إلى الإيمان النقي غير المزيف الأيمان بالله الواحد ليس إلا" [1].

والأوضــاع التي أرستها الثورة الفرنسية من إلغاء النظام التقليدي للكهنوت. وكــل شيء متعلق بالنظم القهرية للدين والمبادئ الجبرية للإيمان . عمل ضروري جــدا علــى الأقل في القضاء على الخرافة . وعلى نظم الحكم التقليدية واللاهوت المــزيف . فــالواقع يفتقد الأخلاقية والإنسانية واللاهوت الحق "[2].. والروح غير المتســامحة للكنيســة نقلت ذاتها إلى السياسة، والظلم الكنسي أوجد محاكم التفتيش والمقاصل ونار محرقة الكنائس "[3]. ورغم ذلك يدعي المسيحيون أن المسيحية لم تؤســس بالسيف ، ولكن عن أي حقبة من الزمان يتكلمون ؟ من المستحيل أن أثني عشــرة رجلا يبدعون بالسيف، فهم لا يملكون القوة ولاهم على قوة تكفي لاستخدام الســيف. ومحمد أيضا لم يكن يستطيع أن يستخدم السيف في البداية . ولا بالروح عيــنها التــي بهــا قطــع بطرس إذن خادم الكاهن الأعظم . وإلى جانب هذا فإن المسيحية تؤسس ذاتها بشكل أصلي على التوراة ، والتوراة مؤسسة بواسطة السيف

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I , Willey Book Company New York,P.7.

2- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.4.

3- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part I ,P.92.

وأســــوأ استعمال للتوراة ليس للإرهاب والرعب بل للإبادة والاستئصال . فاليهود لا يصنعون مهتدين أو مرتدين إنهم يجزرون الكل أو يذبحون الكل . فالتوراة سيد وأبا العهد ، وكلاهما يسمى كلمة الله. والمسيحيون قرأوا كلا الكتابين التوراة والعهد الجديد، والقساوسة يكرزون من كلا الكتابين. فالشيء المسمي مسيحية هو مصنوع مــن الــتوراة والعهــد الجديد. لذلك من التزييف أن نقول أن المسيحية لم تؤسس بالســيف . والمذهب الوحيد الذي ليس مدان هم الكويكرز Quakers والسبب الوحيد لهــذا أنهــم مؤلهة طبيعيين أكثر من أن يكونوا مسيحيين . لا يعتقدون في يسوع المســيح ، ويســمون الكتب المقدسة رسائل ميتة . فهل أسموها باسم سيئ أم أنهم أقرب إلى الحقيقة ؟ "[١].

● ● ●

1- THOMAS PAINE, AGE OF REASON, Part II ,P.241-242.

المصادر والمراجع

أهم مؤلفات توماس بين

- THOMAS PAINE, AGE OF REASON ,BEING AN INVESTIGATION OF TRUE AND FABULOUS THEOLOGY, Part I & II, Willey Book Company New York.

- THOMAS PAINE,THE RIGHT OF MAN, Part ,I & II, Cambridge University Press, Cambridge ,New York .1989..

- THOMAS PAINE , COMMON SENSE, Cambridge University Press, Cambridge ,New York .1989..

مراجع عامة

- إيمانويل هيمان ، الأصولية اليهودية ترجمة سعد الطويل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨.

- ب . كوملان ، الأساطير الإغريقية والرومانية ، ترجمة أحمد رضا محمد،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢.

- توفيق الطويل (دكتور) قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، دار النهضة العربية ١٩٧٩.

- حسن حنفي (دكتور) من العقيدة إلى الثورة ، المجلد الرابع النبوة – المعاد ، مكتبة مدبولى .

- خليل عبد الكريم ، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، سينا للنشر ١٩٩٠ .

- جيمس كولينز ، الله في الفلسفة الحديثة ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب ١٩٧٣.

- رمسيس عوض (دكتور) الإلحاد في الغرب ، سينا للنشر ،١٩٧٧.

- رمسيس عوض (دكتور) ، محاكم التفتيش ، دار الهلال.

- سيد محمود القمني (دكتور) الأسطورة والتراث ، سينا للنشر ، الطبعة ،١٩٩٣ .

- سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة الدكتور حسن حنفي ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة .

- عبد الغفار مكاوي (دكتور) نداء الحقيقية مع ثلاثة نصوص عن الحقيقية لهيدجر ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ .

- عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، العالمية للتوزيع .

- عبد الرحمن بدوي (دكتور) ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، سينا للنشر الطبعة الثانية ١٩٩٣.

- على عبد الواحد وافي (دكتور) ، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

- على حرب ، نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣ .

- فتحي التريكي ورشيدة التريكي (دكاترة) فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ١٩٩٢ .

- لسنج ، تربية الجنس البشرى، ترجمة الدكتور حسن حنفي ، دار الثقافة الجديدة ١٩٧٧.

- محمد عبد الله دراز (عضو جماعة كبار العلماء)، الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ١٩٦٩.

- ماكيل كوربت وجوليا ميتشل كوربت ، الدين والسياسة في الولايات المتحدة ، الجزء الأول ، ترجمة دكتور عصام فايز ودكتورة ناهد وهفي. مكتبة الشروق ، ٢٠٠١ .

- ماكيل كوربت وجوليا ميتشل كوربت ، الدين والسياسة في الولايات المتحدة ، الجزء الثاني ، ترجمة دكتور زين نجاتي ومهندس نشأت جعفر ، مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٢ .

- محمد تقي الأميني الندوى ، عصر الالحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته ، ترجمة دكتور مقتدى حسن ياسين ، دار الصحوة للنشر والتوزيع .

- محمد خاتمي (دكتور) الدين والفكر في فخ الاستبداد ، ترجمة دكتورة ثريا محمد على ، دكتور علاء عبد العزيز السباعي ، مكتبة الشروق . ٢٠٠١

- مراد وهبة (دكتور) ، ملاك الحقيقة المطلقة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ .

- مراد وهبة (دكتور) الأصولية والعلمانية، دار الثقافة، ١٩٩٥.

- ولـــتر ســـتيس (دكتور) ، الدين والعقل الحديث ، أ.د إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٨.

- يـــان أســـمان (دكتور)، معط فكرة العدالة الاجتماعية في مصر الفرعونية ، ترجمة دكتور عطية عامر ، الأنجلو المصرية ، ٢٠٠١ .